ولاية جان بردى الغزالى على الشام
(٩٢٣ - ٩٢٧هـ / ١٥١٧ - ١٥٢٠ م)

د. خلف دبلان خضر الوذيناني(*)

عندما تولى السلطان سليم الأول حكم الدولة العثمانية فى ٩١٨ هـ / ١٥١٢م . أحدث تغييرًا واضحًا فى سياسته إذ لوى عنان جيوشه إلى الشرق الإسلامى فاستطاع إخضاع شمال العراق والشام ومصر ، أما الحجاز وحكومة اليمن المملوكية فإنهما أعلنتا ولاءهما للدولة العثمانية(١) .

وقد أعتقد بعض الباحثين أن التحول العسكرى العثمانى من الغرب إلى الشرق إنما كان على أساس خطة سابقة استهدفت بها الدولة العثمانية الوصول إلى بحر عمان والمحيط الهندى للقضاء على البرتغاليين(٢) .

ولكن هذا الرأى خالف الحقائق التاريخية حيث أن السلطان سليم الأول لم يتحرك بجيوشه نحو الشرق إلا ليضرب الشيعة الصفويين فى فارس والعراق بعد أن تحرشوا به وحاولوا نشر مذهبهم فى الأناضول ، وعرقلة الفتح العثمانى فى أوربا ، فانتصر عليهم فى موقعة جالديران سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤م(٣) .

وبعد انتصار السلطان سليم الأول فى هذه المعركة المشهورة دخل عسكره مدينة تبريز واستطاع السيطرة عليها سيطرة تامة ، وصلى فيها الجمعة ، وخطب باسمه . وأراد الإقامة فيها للإستيلاء على إقليم فارس كله وإخضاعه للدولة العثمانية ، لكنه لم يتمكن من ذلك(٤) . بسبب القحط والغلاء حيث بيعت العليقة الواحدة للدواب بمائتى درهم ، وبيع رغيف الخبز بمائة درهم .

وقبل أن يرحل السلطان العثمانى سأل عن سبب تأخير وانقطاع قوافل الإمدادت التى أعدها لتموين الجيش وعندئذ تبين له أن سلطان مصر قانصوه

(*) استاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد - كلية الشريعة والدراسات اللإسلامية جامعة أمن القرى - مكة المكرمة .

الغورى كانت بينه وبين إسماعيل الصفوى شاه إيران علاقة ومراسلات واتفاقيات للتعاون معًا فى حرب ضد السلطان العثمانى سليم الأول . وبموجب هذه الاتفاقية بين الطرفين أمر السلطان الغورى بقطع القوافل والامدادات عن السلطان العثمانى فى إيران(٥) .

وكان الباعث على ذلك هو أنه لما استقل السلطان سليم الأول بسلطنة الدولة العثمانية بعد وفاة أبيه بايزيد الثانى أمر بقتل أخوته ، ولكن أحدهم استطاع الهروب إلى مصر حيث استجار بالسلطان الغورى الذى أجاره . وعندما أرسل السلطان سليم الأول رسله لتسليمه لهم رفض السلطان الغورى ذلك ، فساءت العلاقة بينهما بسببه ، وزاد من ذلك العداء التحالف المملوكى الصفوى الذى ظهر واضحًا عندما غزا سليم الأول فارس عن طريق البيرة(٦) . وكان حاكمها تابعًا للسلطان الغورى فأمر أهل مدينة مرعش بإيعاز من السلطان الغورى ألا يبيعوا عسكر السلطان سليم ما يلزمهم من زاد مما أنزل الضرر بالجند والدواب(٧) . واعتبر السلطان العثمانى هذا تحديًا وإيذانًا بالحرب بين المماليك والعثمانيين(٨) .

وهكذا قرر السلطان سليم فتح مصر ليأمن جانب الشام فى تحركاته لحربه مع الشاه(٩) .

ولم يكد السلطان سليم الأول يعود إلى عاصمته أسطنبول حتى قام بإعداد حملة قوية لغزو بلاد الشام ومصر وإزالة حكم المماليك الجراكسة(١٠) ، الذين رفضوا الاعتراف بسيادة السلطان سليم الأول من غير حرب حقنًا لدماء المسلمين من الطرفين(١١) .

ولما سمع السلطان الغورى بخروج السلطان سليم إلى حلب قام بإعداد حملة كبيرة هو الآخر ، وخرج بها من مصر لقتال السلطان العثمانى فى الشام (٩٢٢هـ / ١٥١٦م)(١٢) .

وعندما وصل السلطان الغورى حلب التقى بسفارة أرسلها السلطان سليم الأول ، فذكر لهم أنه يريد تحصين علاقته بالشاه إسماعيل الصفوى ، لأجل التوسط بينه وبين السلطان العثمانى فى تأليف القلوب ومحو النفور ، ولكن السلطان سليم لم يقبل منه هذا الاعتذار ، بل جد فى السير إلى حلب .

ويقال أن السلطان العثمانى ارسل رسلاً إلى الغورى ذكروا له أن السلطان سليم لا ينظر إلى الغورى إلا نظرته للوالد الذى يطلب منه الدعاء ، وأكدوا له أن العثمانيين ما قدموا إلا لحرب الشاه إسماعيل الصفوى ، وسوف يقضون عليه . فرد عليهم الغورى قائلاً : " لولا أنه " سليم " مثل ولدى ما جئت من مصر إلى هنا بأهل العلم حتى نصل بينه وبين إسماعيل الشاه "(١٤) .

ويبدو أن الغورى تخوف من سوء العاقبة إذا دخل فى حرب ضد العثمانيين، فقرر أن يرسل سفارة من قبله إلى السلطان سليم الأول ردًا على زيادة البعثة العثمانية ، واستشار كبار دولته فى هذا الأمر ، فاجمع رأيهم على أن يرسل رجلين من أهل العلم والدين لحقن دماء المسلمين . ولكن الغورى لم يفعل ذلك ، واختار كاتم سره (الدوادار) الأمير مغلباى إلى السلطان سليم الأول ، ليؤكد له رغبته فى الصلح واهتمامه بأمر الوساطة . كما أمر عشرة من خيار عسكره باصطحابه .

وقد تضايق سليم كثيرًا من اصطحاب العسكر لرسول الغورى ، وقال له: " يا مغلباى " استاذك ما كان عنده رجل من أهل العلم يرسله لنا .. ؟! وإنما أرسلك بهؤلاء العشرة ليرعب بهم قلوب عسكرى ، ويخوفهم برؤية أجناده ولكن أنا أكيده بمكيده أعظم من مكيدته " . ثم قام بقتل الجنود والقبض على" مغلباى " وكاد أن يشنقه لولا شفاعة بعض وزراء السلطان سليم ، وعاد مغلباى إلى الغورى فى حالة سيئة ، وأخبره بما حدث وبأن السلطان سليم قال له : " قل لأستاذك : يستعد لملاقاتنا وها أنا حضرت إليه كالبرق الخاطف والرعد القاصف »(١٥) .

وهكذا لم ير السلطان الغورى مفرًا من القتال ، فأمر قواته بالخروج من حلب والاستعداد لقتال السلطان العثمانى ، وكان ذلك فى يوم الجمعة الثانى من

شهر رجب سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م(١٨) . فالتقى الجمعان بقرب حلب فى مرج دابق(١٩) . فى ٧/٢٢ / ٩٢٢ هـ ، وفى اليوم التالى الأحد ٢٣ من شهر رجب سنة ٩٢٢هـ الموافق ٤ أغسطس سنة ١٥١٦م كانت بداية الحرب بن المماليك والعثمانيين و لم يقاتل فى ذلك اليوم من المماليك الجراكسة أكثر من ألفى فارس . وأما جلبان(٢٠) السلطان الغورى فلم يتحركوا من مواقعهم و لم يهزوا رمحًا ولا سيفًا ، لأن السلطان الغورى أمر بأن يخرج للحرب أولاً القرانصة(٢١) . لكونهم أعرف بالحرب والقتال من جلبان السلطان ، ولكنه كان يهدف من وراء ذلك العمل أن يقتل هؤلاء القرانصة ليتخلص منهم ومن كيدهم ، وبهذه الطريقة يصفى له الجو دون معارض ، فقد كان يخاف من مكرهم .

ومن أجل ذلك آخر (الجلبان) لتنفيذ مخططه ضدهم دون أن يشعروا به ، فتنبه لذلك القرانصة وبما كان يدور فى ذهنه نحوهم وما يدبره من مكيده ضدهم للتخلص منهم حين رأوه واقفًا مع الجلبان خلفهم لا يقاتل . لذلك شكوا فى نواياه وقالوا له : " نحن نقاتل بأنفسنا وسط نيران المعركة ، وأنت واقف تنظر إلينا شامتًا لماذا ؟ لا تأمر أحدًا من مماليكك يخرج معنا للميدان " .

وكان عدد الجلبان حوالى ثلاثة عشر ألفًا مملوكًا كلهم من مشتريات الغورى وقد علمهم ودربهم تدريبًا عاليًا على كافة فنون القتال والفروسية ، لينشئ له عسكرًا خاصًا به وبالتالى يتغلب على (القرانصة) وهم مماليك من كانوا قبله من سلاطين الجراكسة(٢٢) .

وكان السلطان الغورى يخاف على نفسه من تآمر اثنين من كبار أمرائه ، هما (خاير بك) و (جان بردى الغزالى) وكلاهما من المتعصبين عليه ويبحثان عن السلطنة ، ويشك فى ولائهما له . وكان الاثنان يكرهانه فى السر كما يكرهما . وكان يضمر لهما شرًا ، فامرهما أيضًا أن يتقدمًا لقتال السلطان سليم أول . ويعنى ذلك أنه جعلهما وعسكرهما حجابًا ساترًا أمامه فى حين وقف هو بجراص عسكره الذى يعتمد عليهم من ورائهم خلف القرانصة ، مستهدفًا بتلك

الخطة أن يقتلا بالمدافع والبنادق فى أول اللقـاء مـع العثمـانيين ، وبذلـك يتخلـص منهما ومن شرهما ، ويسلم هو وجنده ومن معه(٢٣) .

ويبدو أنه أراد بهذا العمل أو المخطط تصفية خصومه ومنافسيه أولاً ثم بعـد ذلك يدخل المعركةضد السلطان العثمانى معتمدًا على سياسته وقوة جنوده .

ولكن خاير بك والغزالى فطنا إلى تلك الخدعة التى دبرها السلطان الغورى، فارسلا إلى السلطان وطلبًا منه الأمان وتوثقا منه أن لا يقتلهما بل يكرمهما وينعـم عليهما(٢٤) .

والواقع إن شك السلطان الغورى كان فى محلـه لأنهمـا كانـا علـى اتصـال سـرى دائـم بالعثمـانيين ، كمـا أفـاد سيباى الـذى لم يصدقـه فـى أول الأمـر . وشاركهما عدد من أمراء المماليك كانوا يكرهون حكم السلطان الغـورى ، وقـد أرسلوا سرًا برسائل إلى السلطان سـليم الأول لتـأييده ووعـده بالتعـاون معـه " إذا احتل بلاد الشام ، وطلبوا منه مقابل ذلك مبالغ مالية ومناصب عالية "(٢٥) .

وإذا صحت هذه الرواية فقد أدت سياسة السلطان الغورى إلى جلب عـداء المماليك له ، حتى جعلهـم يعملـون علـى الاتصـال بالسـلطان سـليم الأول الـذى أرسل إلى خاير بك ، وجان بردى الغزالى بالأمان وعهد لهما بما يطيـب خاطرهمـا وأن يوليهمـا مملكـة مصـر والشـام ، فقبـلا ذلـك منـه ووافقـاه علـى ذلـك قبـل القتال(٢٦) . والواقع إن كثيرين من الأمراء المماليك كـان يتمنـى هـلاك السـلطان الغـورى حتـى يكـون هـو السـلطان ممـا سـهل علـى العثمـانيين إسـقاط دولـة المماليك(٢٧) ، كما سيأتى .

وفى هذه الأجواء تم لقاء الجيشين واضطرمت نيران الحرب بالبنادق والمدافع فى مرج دابق ، وكان العسكر الغورى منقسمًا على نفسه ومختلفين فيمـا بينهـم ، لا يحكمهم رأى ولا نظام ، ومن أعجب الأمور أن المقاتلين الجراكسة قاتلوا قتـالاً شديدًا وصمدوا أمام القوة العثمانية صمود الأبطال فأوقفوا الزحف العثمانى حتـى

صاح السلطان سليم فى قادته وعسكره ، قائلاً : " هكـذا تقـاتلون أمـامى قدامـى المـماليك فحمـل العثمـانيون علـى الجراكسـة حتـى تراجـع الجميـع " . ومـــا زال السلطان سليم وجيشه مواصلين زحفهم حتى وصلوا إلى صف الغورى(٢٨) .

وتنفيذاً للاتفاق فقد تراجع خاير بك والغزالى مع من انهــزم مـن الجراكسـة حتى خيمة الغورى التى كان يحتمى بها خلف صفوفهم مع جنده الخاص ، ونادى الخائنان بأعلى صوتهما " الفرار ، الفرار ، فإن سليم أحاط بكـــم ، وقتـل الغـورى والكسرة علينا " ، وانسحبا إلى حلـب ، فتبعهما جلبـــان السـلطان وتشـتت جيـش الغورى ، وظنوا أن سلطانهم مات كما قـال : خـاير بـك والغـزالى(٢٩) ، اللـذان أطاحا به قبل أن ينال منهم شيئًا(٣٠) . وهكذا انكشـــف السـلطان الغـورى ومعـه خواصه وعسكره الخاص أمام الجيش العثمانى ، الذى أطلق عليه المدافع والبنادق ، فهلك من جيشه من هلك ، وهرب من هرب لا يدرى أين يســلك ، وانقلـب النهار ليلاً مظلمًا بالدخان ، فمات السلطان الغورى تحت حوافى الخيل(٣١) .

وهكذا زال ملك الغورى وقد أنشد بعض الشعراء فى ذلك شعرًا

اعجبوا للأشــرف الغــورى الذى　　منــذ تناهـى ظلمه فـــى القاهــرة

زال عنـــه ملكـــه فـــى ساعـــة　　خسـر الدنيـــا إذًا والآخـــرة(٣٢)

أما عسكره فقد فرّ إلى حلب ولكن أهلها قاوموهم لشـدة مـا قاسـوا منهـم حين دخلوا مع الغـورى إلى بلادهـم ، فتشـتت شملهـم وانكسـرت شـوكتهم بعـد قوتهم ومنعتهم . وقد أسعدت هذه الهزيمة أهل حلب حيـث أن السـلطان الغـورى حين تحرك منها لمواجهة السلطان العثمانى فـى مـرج دابـق أودع لديهـم المـماليك جميع أموالهم .

أما خاير بك فقد دخل حلب لأخذ (سيدى محمد ابن السلطان الغورى) وكان أبوه قد أبقاه على خزانته وأمواله بقلعة حلب ، فخوفه خاير بك إن بقى فى حلب أخذه السلطان العثمانى ، فهو قاصد أخذه وأخذ حلب . فقال : ابن الغورى سيدى محمد ؛ ما هو الرأى يا خاير بك ؟ قال الرأى عندى أن تنادى فى العساكر بالرحيل إلى مصر ، حتى يجتمع إليك ما شئت منهم . وتكون سلطانهم فى مصر مكان أبيك ، وأنا مساعد لك فى ذلك الأمر . ونادى ابن الغورى سيدى محمد فى حلب ، فخرجت العساكر وتركت كثيرًا من أموالها وأثقالها ، فكان ذلك مكيدة من خاير بك حتى يدخل السلطان سليم حلب من دون حرب.

وكان أن أرسل خاير بك إلى السلطان العثمانى يخبره بما فعل ، ويحثه على السير إلى حلب الخالية من الجيش المصرى فتقدم السلطان سليم حتى دخل حلب(٣٣) . وهكذا ارتفعت راية السلطان سليم الأول على قلعة حلب الشهباء ، فطلب أهلها الأمان من السلطان العثمانى فأجابهم على ذلك(٣٤) ، وخلع على كبارهم وأعيانهم الحلل الثمينة ، ثم حضر صلاة الجمعة وخطب له الخطيب باسمه ودعى له ولآبائه وأسلافه ، وبالغ الخطيب فى مدحه . ولما سمع السلطان سليم الخطيب يقول كلمة : " خادم الحرمين الشريفين سجد لله تعالى شكرًا ، وقال : الحمد لله الذى يسر لى أن صرت خادم الحرمين الشريفين " وأظهر الفرح والسرور على لقبه الجديد ، خادم الحرمين الشريفين ، وخلع على الخطيب خلعًا متعددة وهو على المنبر(٣٥) . منها حلته التى كانت عليه ، وكانت تساوى خمسين ألف غرشًا(٣٦).

أما ابن الغورى فقد خرج من حلب يريد دخول دمشق ، فخرج عليه أهلها ونهبوا أمواله وأثقاله ومن كان معه . ولولا صمود الأمير أبرك قائد الجلبان والأمير جان بردى الغزالى ومقاومتهم لأهل دمشق لأسروا جميع العسكر مع ابن السلطان. وقد أصاب العساكر من جراء ذلك هلعًا وخوفًا مما لحق بهم من أهل دمشق ، فلم يقيموا بها سوى ثمانية عشر يومًا أراد أن يعلن فيها الأمير جان بردى الغزالى حاكم حماه من قبل السلطان الغورى نفسه سلطانًا جديدًا للمماليك فعارضه الأمير أبرك

حيث قال : من الأولى أن تكون السلطنة لابن السلطان (سيدى محمد الغورى) فوافقه جيش السلطان (الجلبان) الخاص ، وقدامى المماليك " القرانصة " على رأيه(*) .

وعندما سمع جان بردى الغزالى ذلك القول يئس من السلطنة ، وخاصة عندما قام أحد أمراء المماليك وقال أين تخت السلطنة بمصر أم فى الشام ؟ قالوا بمصر ، قال " فاذهبوا إلى مصر ، واجتمعوا بمن بها من الأمراء ، واتفقوا على أمير تختارونه وسلطنوه ، فإن السلطنة لا تصلح لأحد إلا لأشجعنا وأعقلنا " فالآن أحوالنا مضطربة ، وعدونا يتربص بنا ، فكيف نسلطن علينا ولدًا صغيرًا ؟ " .

وهكذا خرج من دمشق الأمراء والعساكر متجهين جميعًا إلى مصر يرافقهم جان بردى الغزالى ، وهو يبطن لهم الغدر لرفضهم بالإجماع سلطنته لأنه كان يطمع فى حكم مصر بعد السلطان الغورى ، فمال إلى رأى خاير بك وهو تحريض السلطان سليم الأول على أخذ مصر(٣٧) . لكسب وده ورضاه ، إذا آل حكم مصر إليه .

وبعد اجتماعهم فى مصر اتفقت الآراء جميعًا على تعيين طومان باى سلطانًا لمصر وبايعوه بالسلطنة فى ١٥ / ١٠ / ٩٢٣هـ / ١٥١٧م(٣٨) .

---

* جان بردى الغزالى سلافى الأصل من خرواتيا وهى منطقة سلافية تقع الآن فى يوغسلافيا . وكان يتكلم اللغة الخرواتية ، ثم وقع فى أسر العثمانيين فى عهد السلطان بايزيد الثانى والد السلطان سليم الأول عند فتح منطقة البلقان (التى تسمى فى المصطلح العثمانى باسم الروملى) . ثم أرسل ضمن مجموعة من الأسرى الأقوياء كان عددهم عشرين هدية إلى السلطان المملوكى فى القاهرة . ثم أعتقه من ضمن العبيد السلطان المملوكى الأشرف قايتباى ثم وصل هذا إلى درجة الأمارة فى عهد السلطان قانصوه الغورى وطومان باى . وجان : بمعنى الروح ، وبردى : تعنى أعطى . أما الغزالى : فهو نسبة إلى منية غزال فى الشرقية بمصر ، وكانت ضيعة لتغرى بردى وكان جان بردى حارسًا لها . انظر : محمد حرب . المرجع السابق ، ص١٤٣ - ١٤٤ .

Ismail Hami Danismend : op. cit. p. 66.

أما السلطان سليم الأول فقد زحف بجيشه على دمشق عند خروج المماليك منها بعد أن أقام أيامًا قليلة بحلب ، فخرج أهل دمشق لاستقباله وطلبوا منه الأمـن والأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، وخلع على كل من يستحق الخلع الفـاخرة ثـم بعـد ذلك توجه لفتح مصر(٣٩) .

ويؤكد المؤرخ أحمد زنبل الرمال فى تاريخه وهو حجة ومعاصر لهذه الأحداث وكان مستشارًا للسلطان الغورى ، ويميل إلى رأيه المماليك ، أن السلطان سليم كان يريد الاكتفاء بحلب ودمشق بعدانتصاره فى مرج دابق ، غير أن المماليك الذى انضموا إليه حثوه على مواصلة القتال وحذروه من مغبة التراخى . وقد دعم موقفهم هذا رفض المماليك فى مصر الصلح وإصرار طومان باى سلطان مصر الجديد على مواصلة القتال . وقد صرح السلطان سليم الأول أن ما دفعه لفتح مصر إلا خاير بك وجان بردى الغزالى والمماليك الذين انضموا إليهما وأنه كان يريد العودة إلى أسطنبول(٤٠) .

وقيل أنه كان ينوى الاتجاه من حلب لمحاربة الشاه الصفوى فى فارس و لم يكن فى نيته التوجه إلى مصر ، ولكن ما دفعه لأخذ مصر إلا خاير بك ورفيقه جان بردى الغزالى . لذلك أجل حرب الدولة الصفوية حتى يتم له فتح مصر(٤١).

ولا شك فى أنه كان لموقف جان بردى الغزالى وخاير بك وأتباعهم أثره فى النصر الذى أحرزه العثمانيون فى معركة مرج دابق(٤٢) . وكان واضحًا منذ اللحظة الأولى للمعركة أنه ليس هناك ثمة تكافؤ بين الطرفين ، وخاصة فى مجال التنظيم وإدارة الحرب ونوعية الأسلحة ، فالجيش المملوكى الذى يتبع فى تكتيكه الحربى نظام الفروسية لم يستطع مقاومة القوات العثمانية بتنظمها المتقن واستعمالها المدفعية وأساليب القتال الحديثة . هذا فضلاً عن الارتباك الحاصل فى صفوف المماليك لعدم ترابط عسكرهم وتبادل الشك بين السلطان وكبار قادته ، مما أدى إلى هزيمة ومقتل السلطان الغورى وانسحاب بقية قواته المنهزمة إلى مصر خوفًا على أرواحهم(٤٣) . وقد ولوا عليهم طومانباى نائب الغيبة سلطانًا على مصر ،

كما أسلفنا ولقبوه بالملك الأشرف واجتمعوا حوله ، وأصبحوا طوع أمره ، وعقدوا الألوية عليه ، وساروا بها إلى الريدانية خارج القاهرة ، وهناك نصبوا المدافع استعدادًا لصد السلطان العثمانى سليم الأول عن دخول مصر . وفى الريدانية تقابل الجيشان العثمانى والمملوكى ، وقاتل السلطان طومان باى قتال الأبطال ، أذهل العقول ضد السلطان العثمانى ، ولم يلبث طويلاً فى قتاله حتى أنكسر مع جيشه أمام القوات العثمانية ، وهرب طومان باى إلى البر لما تفرق عنه جيشه وقصد صديقه شيخ عربان بنى جذام ، واسمه عبد الدائم بن بقر ، ودخل السلطان سليم الأول بعد هذه المعركة مصر دخول الفاتحين(٤٤) .

ولم يلبث أن قام شيخ العرب عبد الدائم بن بقر بتسليم طومان باى أسيره إلى السلطان تقربًا إليه فأنعم عليه مقابل ذلك بالخلع الثمينة والأموال الطائلة ، وحبس طومان باى عنده ، لكنه عدل عن ذلك وأراد أن يكرمه ويجعله نائبًا عنه على مصر إذا رجع إلى عاصمته أسطنبول ، وصار يحضره فى مجلسه ويستشيره فى بعض الأمور والأحوال(٤٥) .

وكان سليم الأول يريد الابقاء على حياة طومان باى لولا أن خاير بك وجان بردى الغزالى أوغر صدر السلطان عليه(٤٦) . وذلك خوفًا منه لخيانتهما فى موقعة مرج دابق كما سبق ذكره .

يضاف إلى ما سبق أن السلطان سليم الأول عندما كان يقاتل طومان باى أمر جان بردى الغزالى بالتوجه لحربه ، فدارت معركة ضارية حول أم دينار بين المماليك والعثمانيين ، أظهر فيها طومان باى ومن معه من الأمراء والفرسان ، بطولات خارقة . وسقط قائد العثمانيين جان بردى الغزالى من فوق فرسه أسيرًا عندما انهزم عسكره ، واقتيد إلى طومان باى الذى هم بقتله ، فما كان من الغزالى إلا إن قبل يديه وقدميه متوسلاً إليه بالله ليعفو عنه ، وعندئذ رق طومان باى لحاله، وعفى عنه ، فرجع الغزالى متقدمًا فلول عسكره العثمانى المهزومين ، وقد أصر فى نفسه أن تكون له كرة أخرى على طومان باى لينتقم لنفسه(٤٧) .

وتخلصا منه فقد أرجف فى أهل مصر عن طومان باى أنه لم يقع فى الأسر، وأنه اختفى ويجمع عسكرًا ، وينتهز الفرصة لاستعادة حكمه وأنه شجاع وقوى لا يطاق ولا يقدر على نزاله أحد ، وبلغت السلطان تلك الأراجيف من الناس ، فرأى أن الفتنة لا تسكن ما دام طومان باى ، لذلك أمر بأن يركب طومان باى على بغلة ويحيط به جنود الانكشارية خوفًا من افلاته ، ويمضى به إلى باب زويله ، ليشنق ويصلب هناك ليراه الناس بأعينهم ، فشنق وصلب على باب زويلة(٤٨) فى ٩٢٣/٣/٢١هـ ، ١٣ إبريل ١٥١٧م ، ودفن بالقبر الذى كان أعده السلطان قانصوه الغورى لنفسه(٤٩) .

وقد دبر الغزالى وخاير بك هذه الحيلة للتخلص منه خوفًا من ابقاء السلطان سليم الأول عليه وتعيينه لولاية مصر ، ولو حصل ذلك لانتهى أمرهما ولكنهما استطاعا بهذه الشائعة التخلص منه ليخلو لهما الجو لحكم مصر والشام دون منازعة كما وعدهم السلطان .

وبعد هزيمة المماليك من قبل الدولة العثمانية احتفظت الشام ومصر بقدر كبير من الحكم الذاتى الداخلى فقد وضع هذان البلدان الشام ومصر تحت إشراف دائم من جانب القادة العسكريين الذين انحازوا إلى جانب السلطان سليم الأول(٥٠) . فعين السلطان العثمانى خاير بك على ولاية مصر(٥١) . مقابل تعاونه مع العثمانيين كما نص الاتفاق بينهما قبيل معركة مرج دابق(٥٢) . وعاد السلطان من مصر بعد أن وطد الحكم بها إلى الشام بصحبة جان بردى الغزالى الذى وعده بولاية الشام ، لكنه عدل عن ذلك وولاه (نيابة طرابلس وصفد وغزة والرملة وبيت المقدس وجبل نابلس) فقط ولم يوليه نيابة الشام ، فشق ذلك على الغزالى ، لكن السلطان عاد وولاه نيابة الشام(٥٣) . إقطاعًا حتى يموت لا يأخذ السلطان من مالها شيئًا(٥٤) ، وكما كانت ولاية مصر الثمن الذى تقاضاه خاير بك مقابل تعاونه مع العثمانيين ، كذلك كان الشام الثمن الذى تقاضاه جان بردى الغزالى مقابل تعاونه هو الآخر مع العثمانيين(٥٥) .

وكانت ولايته للشام فى ٥ من شهر صفر سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م ، على مال معين قدره مائتا ألف دينار وثلاثون ألف دينار ؛ وما معها من بلاد المعرة(٥٦). إلى عريش مصر ، وأضاف إليه أيضًا أمر الجراكسة بدمشق من الحجوبية الكبرى والثانية(٥٧) .

يقول نيقولاى ايفانوف أنه بعد أن أكمل السلطان العثمانى احتلال المدن والقلاع المهمة فى بلاد الشام ومصر منح لهذين الحاكمين استقلالاً داخليًا شبه تام، حتى أعفى خاير بك من دفع الضرائب للسلطان العثمانى، وكان كل منهما - يعنى الغزالى وخاير بك - يملك قواته العسكرية الخاصة به إضافة إلى جهازه الإدارى ، الذى لم يطرأ عليه أى تجديد يذكر، وقد استاء أبناء السلطان سليم الأول من تصرف والدهم لأنه بعد هذا النصر لم ينتزع السلطة من يد المماليك بل أعادها لهم مرة ثانية دون أن تكون هناك أى فائدة تذكر للعثمانيين(٥٨) .

ويعنى ذلك أن دخول العثمانيين الشام ومصر إنما كان نتيجة لمواقف حربية وسياسية جديدة أملتها عليهم الظروف حين تحالف المماليك مع الشاه إسماعيل الصفوى ضد الدولة فلم يكن لهم هدف آخر .

أما سيطرة العثمانيين على الحجاز واليمن والبحر الأحمر وتصديهم للبرتغاليين فكان ذلك ميراثًا مملوكيًا لا يستطيعون التخلى عنه(٥٩) . فرضته عليهم الظروف والمواقف بعد أن آل حكم المماليك لهم فى مصر .

وأخيرًا سار السلطان سليم الأول إلى أسطنبول بعد أن رتب البلاد الشامية(٦٠) ، وقبل مغادرة السلطان الشام سبقه جان بردى الغزالى فى يوم الأحد العاشر من شهر صفر سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م إلى مدينة حمص لضيافة السلطان فيها ثم توديعه ، وبعد توديع السلطان إلى عاصمته دخل جان بردى الغزالى دمشق فى ٢٠ من الشهر نفسه ، فتلقاه الأمراء بدمشق ، وشباب أهل الشام فى حلل

بهية وأمامة الجيش الانكشارى ورماة البنادق يزيدون على خمسمائة جندى فى حفل واستقبال مهيب ، والغزالى يرتدى زى العثمانيين ونزل بالشام ، وأمر فى الحال ببناء دار السعادة (الحكم) واصطبلها ، فشرع البناؤون فى ذلك سريعًا ، ثم أمر مناديه ، فنادى بأعلى صوته بأنه لا ظلم اليوم ولا عدوان فى الشام(٦١) .

وقد استمر فى حكم الشام تحت الطاعة العثمانية منقادًا لأوامرها ، إلا أنه كان يطمع ويحلم فى داخله باستقلال حكم الشام وإعادته إلى حكم المماليك كما كان من قبل ، ويبدو أن السلطان سليم الأول عندما عدل عن إعطاء ولاية الشام للغزالى فى أول الأمر كما وعده كان يشك فى ولائه له ، لذلك كان السلطان مترددًا فى دفع ولاية الشام إليه ، ولكنه عاد وأعطاه ولاية الشام كلها وفاءً لوعده كما سبق ذكره .

وعندما عاد السلطان سليم الأول إلى أسطنبول قام الغزالى بالقضاء على مشايخ الإعراب المناوئة للحكم العثمانى فى الشام(٦٢) ، مطبقًا السياسة العثمانية فى بداية عهده ، فقام بقمع حركات تمرد البدو دون رحمة وبخاصة عندما سحق انتفاضة الشيخ البدوى الحنش فى عام ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م قرب بعلبك الذى حاول السيطرة على وادى البقاع ، وشن حملتين لغزو حوران ، وساد البلاد هدوء تام حتى قيل أن " الذئب والحمل استطاعا السير معًا " كما يقال :

يا أيها الملك الذى سطواته فى البيداء يخشى ذئبها من شاتها(٦٣)

بذلك أظهر الغزالى ولاءه للسلطان العثمانى ليغطى تحركاته المريبة فى المناطق المحيطة التى كان يهدف من ورائها التحالف مع البلاد المجاورة لمساعدته فى طرد العثمانيين عندما تحين الفرصة له(٦٤) .

لذلك شكل الغزالى جيشًا خاصًا به إلى جانب الجيوش العثمانية ؛ كان قوامه من البدو والمماليك ، ثم التف حوله أبناء الطبقات المميزة القديمة بعد أن وضعوا أنفسهم فى خدمة السلطان سليم الأول وبايعوه ، لذلك تغير ولاؤهم فلم

تعد تستهويهم المثل العثمانية ويشدهم الحنين إلى الماضى لاستعادة الحكم والامتيازات المملوكية(٦٥) .

وقد بدأت أحلام جان بردى الغزالى تظهر لإقامة دولة مستقلة بحكم بلاد الشام تحت قيادته ، وذلك قبيل وفاة السلطان سليم الأول ، وبالتحديد فى ليلة الجمعة الموافق ١٢ من شهر ربيع الأول لعام ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م ، حين احتفل بالمولد الشريف فى دمشق ، ودار الحديث فى ذلك المجلس ، واستطرد الكلام حتى سأله بعض الحضور لمن يهدى أجره ؟ هل فى صحائفه أم صحائف السلطان سليم الأول ؟ فقال بدون تردد بل أهديها إلى صحائف استاذى العظيم السلطان الأشرف قايتباى ، فلم يفطن الغزالى إلى مثل ذلك القول لفرط اندفاعه نحو السلطنة(٦٦) .

وكان قد حضر ذلك المجلس أمير عثمانى كبير سمع بإذنه الحديث الذى صدر من الغزالى(٦٧) ، وهذا الأمير هو نائب قلعة دمشق ، معه قاضى القضاة الشافعى ولى الدين محمد بن الفرفور ، والمظفرى شيخ المدرسة السليمية فى دمشق، فهؤلاء الثلاثة تنبهوا وأيقنوا بأن الغزالى يتوق نحو السلطنة دون تردد .

عندئذ بعث هؤلاء الثلاثة فى ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠ م إلى السلطان سليم الأول بما سمعوا فى ثلاث رسائل مع هجان ذكروا فيها أن الغزالى يعد العدة للانفصال بالشام تحت قيادته بعيدًا عن السيادة العثمانية . ولكن أنصار الغزالى استطاعوا كشف أمر هذه الرسائل فقبضوا على الهجان وقدموا الرسائل إلى الغزالى ، فما كان منه إلا أن أمر بالقبض على الشيخ المظفرى ، فقبض عليه ، أما قاضى القضاة ابن الفرفور فقد لاذ بالفرار إلى قلعة حلب واعتصم بها قبل أن يدركه الطلب . ولم يجرؤ الغزالى على إصدار أمره بالقبض على نائب قلعة دمشق لاعتصامه هو الآخر بالقلعة(٦٨) .

ويتضح من ذلك أنه منذ أن رحلت القوات العثمانية من دمشق ، وخلا لجو لجان بردى الغزالى نائب الشام ، حدثته نفسه بالخروج عن طاعتها ، وصعب

على طبعه إلا أن يخون سيده الثانى ، كمـا خـان سيده الأول ، لذلـك لم يستطع البقاء طويلاً على الولاء لأسياده العثمانيين .

ومـن يتعـود عـادة ينجـذب لها على الكـره منـه والعوائد أهلك(٦٩)

وقيل أن السلطان العثمانى سليم الأول كـان على علـم بتحركـات الغـزالى المشبوهة فى المنطقة ، من عيونه وبعض أمراء المدن الشامية من العثمانيين المخلصين للدولة ، ولكن الموت لم يمهله حتى يقضى عليه(٧٠) .

ففى يوم ٩ من شـهر شوال سنة٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م توفـى السـلطان سـليم الأول ودفن فى أسطنبول، وكانت مدة سلطنته ثمـان سنين وثمانيـة أشـهر وتسـعة أيام(٧١) ، وقد أرسلت الدولة العثمانية بهذا الخصوص فى١٢ من شهر ذى القعدة سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م مندوبين من العاصمة أسطنبول إلى نائب الشام جان بـردى الغزالى بخبر وفاة السلطان سليم الأول . وبعد يومين من وصول المندوبين شاع فى دمشق خبر وفاة السلطان أى يوم ١٤مـن شـهر ذى القعـدة(٧٢) . وبموتـه أقـامت المماليك الجراكسة صدورها ووجد جان بردى الغزالى الفرصة سانحة أمامـه لتنفيـذ ما كـان يرومـه من قبل(٧٣) . وخاصـة عندما بلغـه تولى ابنـه سـليمان الأول (القانونى) فى ١٧ من شـهر ذى القعـدة سـنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠ م وهـو شـاب صغير فإزداد طمع الغـزالى أكـثر مـن ذى قبـل فـى الشـام وحدثتـه نفسـه بـإعلان استقلاله وانفصاله عن الدولة العثمانيـة ، وإعـادة الشـام إل المـماليك الجراكسـة ، ويكون هو السلطان ، وتعلقت آماله وأحلامه بتلك الأوهام لحكم البلاد ، فوجـد الغزالى هذا الموقف يصلح أن يكـون منطلقًـا معقـولاً إلى إعـلان سـلطنته بحجـة أن السلطان سليمان ولـد غـر لا يصلـح للسـلطنة(٧٤) . وفـى الوقـت الـذى ازدادت مطامع الغزالى عقب موت السلطان سليم الأول ، كـان الشـاه إسمـاعيل الصفـوى على أتم استعداد للتعاون معه فى هذه المحاولات إذا ما طلب منـه ، وامـداده بالمـال والجند حتى يرى اليوم الذى يطرد فيه الغـزالى العثمـانيين مـن الشـام كلـه ليشـفى غليله(٧٥) ويمسح العار الذى لحق به فى معركة جالديران الشهيرة .

وقد تسرع الغزالى فى ذلك لطمعه وخفته وهوجه وافتقاره للرأى السديد . وقد ساعدته الدولة العثمانية دون أن تدرى حين أخضعت لحكمه ولايات الشام كلها وهو ما لم تفعله الدولة الشركسية التى كانت تسند ولايات الشام إلى أربعة ولاة(٧٦) ، ظنًا أن ذلك فرصة مناسبة لتحقيق أحلامه وطموحاته فى حكم الشام التى كان يخفيها(٧٧) .

وقبل أن يبدأ جان بردى الغزالى بثورته على الدولة العثمانية اتصل بالشاه إسماعيل الصفوى وكذلك قراصنة جزيرة رودس فرسان القديس يوحنا ، وأرسل لهم سفراء للاتفاق معهم لمحاربة الدولة العثمانية العدو المشترك للجميع ، فأمدوه بالأسلحة والمعدات اللازمة ، ثم بالخبراء والمهندسين المتخصصين فى المدفعية وصيانتها للاستعانة بهم فى حربه ضد السلطان العثمانى(٧٨) . كما وعده الصفوى بإن يمده بالرجال .

عند ذلك أخبر خاصته وحاشيته بما فى نفسه ، فأشاروا عليه أن يرسل إلى خاير بك والى مصر يعلمه بذلك الأمر ، فإن وافقك على هذا الاستقلال فافعل ، وإلا فلا قدرة لك ولنا على جنود الدولة العثمانية ، لأن معركة مرج دابق لا زالت عالقة فى أذهان المماليك(٧٩) .

ورد جان بردى الغزالى على خاصته وأصحابه بقوله : " إنما كان ذلك من السلطان سليم ، وإنما هذا ولد غر ليس له قدرة على فعل شئ من ذلك ، ولا أظنه يتم سنة فى الملك "(٨٠) .

ثم بعد ذلك بعث إلى خاير بك ورجال حكومته برسائل سرية تفيدهم بنواياه وعزمه على الاستقلال بالشام عن الدولة العثمانية(٨١) . ويطلب منه الانضمام لإعادة حكم المماليك على مصر والشام ، ويخبره بسهولة الفوز على السلطان سليمان الأول لصغر سنه وارتباك سلطنته وبعد دار الخلافة عنهما(٨٢) . وقد حان الوقت لإعادة الدولة المملوكية وبعثها من جديد ، وأن إحياءها أسهل مما كان عليه الأمر من قبل (٨٣) ، وكان الغزالى يطمح فى ضم خاير بك إليه لكسب ة مصر إلى جانبه فى حربه مع العثمانيين(٨٤) .

ولكن خاير بك أجابه محذرًا بأن لا يقدم على هذا العمل ويقول لـه : " أمـا يرضيك إقليم الشام تتصرف فيه تصرف الملوك " فإياك ثم إياك أن تتفوه بشئ من ذلك "(٨٥) . إلا أن جان بردى الغزالى لم يقبل نصح خـاير بـك والى مصـر ، بـل لقد سولت نفسـه أن يعلـن استقلاله ببـلاد الشـام ، ويطلـق علـى نفسـه سـلطان البلاد(٨٦) .

وفى هذا الصدد يرى المؤرخ أحمد فؤاد متولى أن والى مصر خاير بـك كـان على علم بتطور الأحداث فى الشـام منـذ أن بـدأت ، وكـان بـوده لـو أن الحكـم العثمانى انحسر عن الشام ومصر ، وقد اتفق سرًا مع الغزالى شريكه فى الخيانة كما أسلفنا ، إلا أن خوفه من فشل ثورة الغزالى ضد الدولة العثمانية فت فـى عضـده ، فهو يخشى أن تدور الدائرة عليه لو فشـل الغـزالى فـى مسـعاه ، لأن هنـاك حاميـة عثمانية قوية فى مصر تحت قادة أقوياء تمسك بزمام مصروتربطها بالتبعية العثمانية. لذلك كان موقف خاير بك السرى غير المعلن هو التعـاون والتضـامن مـن الغـزالى ويود أن ينجح فى مهمته فيقوم هو بثورة مماثلة فى مصر للانفصال بها عن الدولـة العثمانية . أما موقفه المعلن أمام الدولة العثمانية فيما يحدث فى الشـام فهـو إظهـار عدم رضاه عن هذا الموقف مما جعله يرسـل رسميًا إلى جـان بـردى الغـزالى رسـالة يحـذره فيهـا مـن مغبـة الإقـدام علـى هـذا العمـل ، ويذكـره بقـوة السـلطان العثمانى(٨٧).

وقد استغرب الغزالى رده فأرسل له مرة ثانية رسالة تقـول : " إن لم تطعنـى على ذلك وإلا جردت عليك وحاربتك أما بى وأما بك " (٨٨) . لأن أمالهما فـى الاستقلال وإعادة حكم المماليك كانت متفقة .

ومما يؤكد هذا الاتفاق مـا ورد فـى الوثيقـة التـى أرسـلت للسـلطان سـليم الأول باسطنبول من قبل رجال حاميتـه العثمـانيين فـى قلعـة كريـت ، تفيـد هـذه الوثيقة المرسلة بأن رجال الحامية المذكورة استطاعوا أسر شخص من طـرف عـدو الدولة شاه إيران يتجسس عن طريق التجارة ، وعند التحقيـق معـه أدلى بمعلومـات

خطيرة ومهمة جدًا قال بأنه أسر من قبل فى مصر حين فتحها السلطان سليم ، ومن مصر استطاع أن يصل إلى كاشان(٨٩) . وكان بها ابن اردبيل(٩٠) ، وفى تلك الأثناء قدم من قبل الغزالى رسول إلى ابن اردبيل فى كاشان ، رآه هذا الأسير أثناء وجوده فى اردبيل ، وعندما سار الأسير إلى بغداد ومكث بها خمسة شهور ، أرسل ابن اردبيل حاكم كاشان فى تلك الفترة رسولين الأول إلى حاكم بغداد الشاه على أوباش، والثانى إلى جان بردى الغزالى فىالشام للتحالف ضد الدولة العثمانية.

لذلك أرسل حاكم بغداد الشاه على أوباش هو الآخر رسولاً إلى الشام لمقابلة جان بردى الغزالى لبحث التعاون بين الطرفين ضد الدولة العثمانية ، ونتيجة لهذه المفاوضات بعث الغزالى رسولاً إلى شاه بغداد على أوباش تأكيدًا للتحالف بينهما ضد الدولة العثمانية ، ثم توجه هذا الرسول نفسه إلى ابن اردبيل فى كاشان لنفس الغرض والمهمة ، وقد بين الأسير مهمة هذا الرسول وهى الكلام على لسان الغزالى إلى ابن أردبيل حيث يقول : " تعال يا ابن اردبيل بنفسك أو أرسل عسكرًا ، أننا سنفتح ولاية الشام ، ولتعلم أن من بمصر اتفقوا معنا "(٩١) . ويعنى بذلك خاير بك .

ولم يكن السلطان العثمانى سليم الأول على علم بهذه المحادثات إذ أن رسول الغزالى كان قد وصل بهذه الرسالة سرًا إلى كاشان لمقابلة الشاه إسماعيل ، وفى هذه الرسالة عرض آخر من الغزالى هو تقديم تبعيته للشاه إسماعيل الصفوى(٩٢) . من أجل التعاون معه لطرد العثمانيين من الشام ومصر .

وفى هذا دليل واضح على أن خاير كان على اتفاق سرى مع الغزالى هو الآخر لإعادة حكم المماليك على الشام ومصر كما كان ، وعلى علم بكل الاتفاقات التى دارت بهذا الخصوص بين حاكمى بغداد وإيران مع الغزالى لتوحيد الجهود لطرد العثمانيين من الشام ثم مصر كما جاء فى الوثيقة السابقة . وإذا سلمنا بصحة هذه الوثيقة التى تتهم خاير بك بالاتفاق مع جان بردى الغزالى نائب السلطان لإعادة حكم المماليك ، فإن هناك تناقض واضح مع موقفه المعلن

وهو عدم موافقة الغزالى على تمرده للدولة من بداية الأمر عندما طلب منه ذلك ، ويعنى أن هناك على ما يبدو مكيدة لإيقاعه وإقحام اسمه فى شرك ثورة العصيان على الدولة العثمانية لتوريطه لكسب موقفه وموقف مماليك مصر معه .

ورغم هذا الموقف إلا أن هناك بعض الرسائل التى تضفى ظلالاً من الشك على تورطه ومن هذه الرسائل أن الغزالى بعث برسالة له : يخبره فيها عن كيفية فتح قلعة دمشق ، وعن سعيه الجاد لحماية هذه البلاد ، كما بين له الخطة فى استعادة بعض المدن الشامية وطرد حاكمها من قبل السلطان العثمانى لاستعادة الحكم المملوكى تمهيدًا لفتح حلب باسم خاير بك ، وفى الوثيقة إظهار لولاء الغزالى لخاير بك صريحًا وإقراره له بالتبعية(٩٣) .

ولكن خوف خاير بك من فشل ثورة الغزالى جعله يتخذ هذا الموقف السرى غير المعلن وهو تأييد الغزالى ، وفى نفس الوقت أعلن معارضته له لكسب الدولة العثمانية ، لما يتمتع به من فطنة عصمته من الوقوع فيما قد تحاسبه عليه الدولة العثمانية ، عكس الغزالى الذى كان لا يفطن إلى مثل ذلك لفرط حبه للسلطنة ، خاصة أن السلطان سليم الأول أخذ معه إلى أسطنبول بعض أبناء خاير بك وزوجاته كرهائن عندما ولاه حكم مصر ، ولم يسمح السلطان سليمان لهؤلاء بالعودة إلى مصر إلا بعد أن انتهت حرب الشام بالقضاء على الغزالى ، وبذلك يكون قد وضح موقف خاير بك المعلن والسرى(٩٤) .

وهكذا اتخذ خاير بك الحيطة فأرسل خطابًا إلى الغزالى يخادعه فيه خوفًا من أن ينكشف أمره للسلطان العثمانى حتى يتمكن من إرسال الخطابات التى وصلته من الغزالى ليكون السلطان على علم بذلك الأمر لما رأى منه الجد فى الكلام حيث قال : " أن كان ولابد وأنت معول على ذلك ، أذهب إلى حلب وخذها فإن ملكتها فإننى مساعد لك فيما تقدم وموافق لك على ما تقول "(٩٥) .

ومن الواضح أن هذا يحتمل وجهين لكسب الطرفين إذ أنه يؤيد غزو الغزالى لحلب فإذا فشلت ثورة الغزالى فقد ضمن حياده وولاءه للدولة العثمانية ، وإذا نجحت ثورة الغزالى ثار هو الآخر واستقل بمصر .

وفى ٢٦ من شهر ذى القعدة سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠ م حضر مندوب الغزالى ودفع لخاير بك برسالة ورسائل أخرى إلى أمراء دولته ، وعندما قرأها الأخير اضطربت أحواله ، لما فيها من عصيان وتحريض ضد الدولة العثمانية لإعادة دولة المماليك فتحفظ خاير بك على المندوب وأنزله فى بيت الأمير الحمزاوى تحت الإقامة الجبرية تمهيدًا لإرساله إلى أسطنبول ، ثم شرع حالا فى تحصين قلعة الجبل وركب على أبراجها المدافع والمكاحل ، وأمر طائفة من الانكشارية من الفرسان بالسكن حول القلعة للحراسة الدائمة ، وأمرهم بعدم مغادرتها إلى المدينة. ثم قام خاير بك بإرسال مندوب والى الشام إلى السلطان سليمان مقيدًا بالحديد من مصر إلى أسطنبول عبر البحر الأبيض المتوسط ، ومعه جميع الرسائل الواردة ، ليخبر السلطان بما وقع من عصيان وخروج واليه الغزالى فى الشام(٩٧) .

ولم ينس خاير بك أن يعرب عن ولائه المطلق للعثمانيين وأنه لا يوافق الغزالى المغامر فى تمرده(٩٨) .

ومن ناحية أخرى جدد أمراء الشراكسة والعثمانيون فى مصر الطاعة والولاء للسلطان سليمان الأول كما كان الحال لوالده من قبل فى ١ من شهر ذى الحجة سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م ، وذلك عندما اجتمعوا فى القلعة للتهنئة بشهر الحج أمام القضاة الأربعة وعلى المصحف الشريف(٩٩) .

ولم يكتف خاير بك بذلك وإنما حلف على المصحف الشريف مؤكدًا الولاء والطاعة للسلطان سليمان الأول ، ثم أمر أن ينادى مناديه فى القاهرة بالأمان والاطمئنان والاستمرار فى البيع والشراء وأن يمسك الناس عن الكلام ، ولا يتدخل أحد فيما لا يعنيه ، وهو الحديث عن عصيان الغزالى وحربه للسلطان. وطالب بالإكثار من الدعاء لنصره السلطان . وبذلك سكن الاضطراب الذى ساد الناس من جراء عصيان الغزالى(١٠٠) .

ويبدو أن خاير بك بالغ عندئذ فى تحصين القلعة وتأمين ما يلزمها من ماء وغذاء ، ورفع بين قواته درجة الاستعداد الحربى إلى أقصى الحدود وذلك تحسبًا

من غزو مرتقب من جان بردى الغزالى بدليل أنه أصدر أوامره إلى الشراكسة وإلى العثمانيين بالاستعداد للسفر إلى الشام إذا ما دعت الحاجة ، بل أنه فتح باب التطوع العام لانضمام المتطوعين إلى الجيش . وربما أراد خاير بك التحرك إلى الشام وسحق قوات الغزالى ، ولكنه كان فى انتظار جواب السلطان سليمان إذا أمره بذلك(١٠١) .

وحين تسلم الغزالى هذا الجواب المخادع من خاير بك بأن يأخذ قلعة حلب، صدق قوله واستبشر بالموافقة على عصيانه وتأييد استقلاله ، دون أن يعلم ما كان يبطنه خاير بك من مخادعة لكسب الوقت ومكاشفة السلطان العثمانى بأمره . وكان أن أرسل الغزالى إلى سيدى محمد الأمير قرقماش لحضور مجلسه ، ولما حضر قام بإطلاعه على خطاب خاير بك فشكك سيدى محمد فى موافقة خاير بك وقال له : " أننى لا أصدق شيئًا من ذلك القول ، وإنما الرجل خادعك بهذا الكلام لما رأى منك الجد ، ولكن إذا أردت رأيى أترك هذا الأمر وكن على ما أنت عليه من ولاية الشام ، تحت الطاعة العثمانية أسلم لك وأحفظ لمكانتك " .

ولم تعجب تلك النصيحة جان بردى الغزالى وهو الرجل الطموح وكان الغزالى معتمدًا على إسماعيل الصفوى حسب الاتفاق السرى معه(١٠٢) ، وقد أرسل للغزالى بأنه استطاع جمع حوالى اثنى عشر ألفًا من الجند(١٠٣) . لمساعدته فى استقلال الشام .

وكان الصفوى قد جمع فعلاً ذلك العدد الكبير من الجند انتظارًا لنجاح الغزالى فى حربه ضد السلطان العثمانى لينقض بقواته لمناصرة الغزالى على العثمانيين ، لأنه يعلم كل العلم مع حليفهم الثالث حاكم العراق مدى قوة وبأس الجند العثمانى ويخشى جانبهم .

وقبل إعلان سلطانه على الشام كله فكر الغزالى بتدبير حيلة للتخلص بها من الجيش العثمانى المرابط فى دمشق فخطر له أن يعمل مولدًا يجمع هؤلاء ، وأمر رجاله بأن يدعوا لهذا المولد جميع عساكر دمشق من العثمانيين الذين قدموا مع

السلطان سليم الأول حين فتحها وأبقاهم فى دمشق مع جان بردى الغزالى لحفظ بلاد الشام وهم (الصناجق والاغوات والانكشارية) . فلما اجتمعوا عنده فى المكان المعد لهذه المناسبة وحان موعد الطعام مد لهم سماطًا طويلاً لم يعمل مثله أحد من قبل ، فانهمكوا فى الأكل والكلام على السماط ، وكان أتباع الغزالى واقفين خلف هذا العسكر المدعوين ، كل منهم يحمل سيفا يخفيه تحت ثيابه وينتظرون تنفيذ أوامر سيدهم ، ولما رأى الغزالى العسكر العثمانى منشغلاً فى الأكل والكلام أشار لرجاله بتنفيذ الخطة ، فسلوا سيوفهم بسرعة متناهية وضربوا بها أعناق من حضر من الجنود العثمانية بدمشق وهم يأكلون ، فما شعروا إلا ورؤوسهم تتطاير عن أجسادهم ، فلم ينج منهم أحد . ثم أمر الغزالى عسكره بإخراج جثثهم ورميها خارج دمشق دون دفنها فأكلتهم السباع والوحوش(١٠٤). ولم يبق أمامه سوى الجنود العثمانية المرابطة بقلعة دمشق .

وكان الغزالى يهدف من وراء ذلك أن تصفو له دمشق حتى لا يبقى أمامه معارض من الجنود العثمانية ، ليبدأ إعلان تمرده وعصيانه على الدولة(١٠٥) . وقيل أنه فعل ذلك بعد رجوعه من حصار حلب وسحب قواته إلى الشام فدعا العساكر العثمانية الذين أوكل لهم السلطان العثمانى حماية دمشق إلى ضيافته وقتلهم أثناء تناولهم الطعام كما سبق ذكره(١٠٦) .

وبعد ذلك بدأ أعماله ضد العثمانيين بعزل الأمير سنان العثمانى بغته من ولايته على البقاع وما حولها فى ١٥ من شهر ذى القعدة سنة ٩٢٦هـ/ نوفمبر ١٥٢٠م وولاها للمقدم أحمد بن المقدم ناصر بن الحنش(١٠٧) ، فانطلق الأمير سنان إلى قلعة دمشق وحذر قائدها العثمانى ، فما كان منه إلا أن رفع جسرها الممتد أمام بابها الكبير ، واستطاع الجيش العثمانى قفل منافذ القلعة فى يوم ١٦ من شهر ذى القعدة سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م استعدادًا للدفاع عنها(١٠٨) .

وقد أراد الغزالى فى بداية الأمر أخذ قلعة دمشق من الحامية العثمانية بالحيلة والخديعة ولكنه لم يتمكن من ذلك لعلمهم بشق طاعته على الدولة ، فقام الغزالى

بحصار القلعة فى ليلة ١٧ مـن شـهر ذى القعـدة سـنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م(١٠٩) ، وأحاطها بجيشه ونصب حولها المدافع ، وبدأ بضرب الباب الكبير وأبراجه ، فركـز جنود الحامية العثمانية دفاعهم عـن هـذا الحصـن الأمـامى ، ولكـن قـوات الغـزالى تمكنت من قطع مياه النهر عن خندق القلعة ، وتمكن جماعة من الفنيين الذين كانوا ضمن حملة الغزالى من رفع الشباك الحديدى الذى يحمى مدخل الخندق المـؤدى إلى القلعة ، وعند ذلك اندفع جنـود الغـزالى منـه إلى داخـل القلعـة والحاميـة العثمانيـة مشغولة بالدفاع عن واجهة القلعة الأمامية . فلم يشـعروا إلا وجنـد الغـزالى فـوق رؤوسهم ، فمـا كـان فـى وسعهم غيرالاستسـلام(١١٠) ، وكـان فيهـا نحوالمائـة والخمسين مع العلماء والفقهاء .

وقام الغزالى بالقبض على أربعة وستين ، منهم نائب القلعة العثمانى والأمـير سنان ، وأطلق سراح الباقين ، أما نائب القلعـة والأمـير سـنان فـأمر بإرسـالهما إلى القدس منفيين ، ثم قام بمصادرة بيوت الجميع إضافة إلى دكاكينهم وما عندهم من أموال . وأظهر فى ذلك اليوم لبس الجراكسة وأبطل لبس العثمانيين(١١١) .

وأرسل الغزالى إلى والى مصر خـاير بـك برسـالة يخـبره بمـا حـدث ويبشـره بالنصر التام فى القريب العاجل وعودة الحكم المملوكـى إلى سـابق عهـده(١١٢) . وفى رسالة الغزالى هذه إلى خاير بك يقول : " عنـد حصارهـا تجمـع أهـل القلعـة داخلها وأقفلـوا أبوابهـا ووضعـوا الحجـارة مـن خلفهـا ونصبـوا المدافـع وتسـلقوا الأسوار للدفاع عنها ، وقد بلغ عددهم حوالى ثلاثمائـة مقـاتل ، وشـرعوا بـالرمى على جيشنا المملوكى المحاصر لهـم ، فأرسـلت لهـم وفـدًا لمفـاوضتهم علـى الصلـح والتسليم سلمًا ، فلم يقبلوا ذلك وأغلظوا فى الكلام للوفد المفاوض .

وفى اليوم التالى تسلق جنودى أسوار القلعة ووقع بيننا قتال شديد تبادلنا فيه النـار فلـم يحتمـل مـن بهـا حتى المسـاء وقـد أخذناهـا بـالقوة وتسـلمها المملـوك فاصبحت فى حوزة مولانا (خاير بك) ومحسوبة إلى دولته.

وغير خاف على ما كان فى صحبة السلطان سليم خان من العساكر عند فتح الشام فإنه لم يستطع فتحها بالقوة لولا اختلاف جيشنا المملوكى . ولكن ستعود جولتنا إلى سابق عهدها ويكفى ما صار لشعبنا من ذل وهوان وما فعله المخدوم (الغزالى) إلا للخدمة فإن مملوكها وولى خدمتها هو أحق بطاعة المملوك بها كما كان (خاير بك) ويسعى المملوك لحماية هذه البلاد ، ولو حضر كثير من الجنود العثمانية فإنى كاف لصدهم وحربهم ، وكل الرعايا من كبير وصغير وأمير وحقير إلى المملوك قدموا أرواحهم تطوعًا أمامه متمنين عودة دولتنا وامتداد حكم مولانا المخدوم خاير بك والمملوك (الغزالى) يتعهد بإعادة الحكم المملوكى بسيف مولانا (خاير بك) بعد مده بالمال والرجال .

وقد بلغنى ضم حماه وحمدًا لله تم استلامها ، والاحتمال الوارد أن يتبع نائب طرابلس المملوك (الغزالى) فيتبعه جميع عساكره مما يسهل أمر حلب ونيابتها، وقد ذكرت الوثيقة قسم الغزالى با لله على أن لا يتخلى عن خدمة خاير بك ولا يرجع عن طاعته .

- وأنه ملك يديه وتحت طاعته ينتظر إشارة منه فإنه مستمر على خدمته كما هو الواجب .

- وإذا لم يرض فإن المملوك (الغزالى) يعتذر عن خطئه(١١٣) .

وبعد ذلك أمر الغزالى بتسيير جيشين كان الأول بقيادة قانصوه المقرقع أحد أنصاره الموالين ، بعد أن ولاه مدينة حماه ، وقد نجح القائد ابن المقرقع فى مهمته فقتل رئيس فرقة الفرسان العثمانية بمدينة حمص ، وعزل قاضيها العثمانى وأرسله إلى دمشق ، ثم ولى المدينة من قبله للمقدم ابن الحرفوش ، وواصل هذا القائد حربه ضد مدينة حماه ، حتى استطاع أن يستولى عليها بالقوة من الحامية العثمانية، وأن كان أميرها قد تمكن من الهرب إلى حلب(١١٤) .

أما الحملة الثانية فكانت بقيادة دواداره الثانى الذى سار إلى طرابلس للاستيلاء عليها فأخذها ، ولكن أميرها استطاع هو الآخر الهرب منها ولجأ إلى حلب(١١٥) .

وبذلك يكون الغزالى قد استطاع القضاء على حامية دمشق العثمانية ، وطرد العثمانيين من بيروت وطرابلس وحماه وغيرها من المدن ، ولكن تمرده لم يحظ بتأييد شعبى واسع على الرغم أنه أعلن انفصال الشام عن السلطنة العثمانية ، ولكن لم يكن المماليك المصريون على مستوى ما علق عليهم من آمال(١١٦) .

ويبدو أن أهم أسباب فشل الغزالى هو عدم تحالف حليفه خاير بك معه ، كما مر بنا .

وعلى أى حال فإنه لم يبق أمام الغزالى فى الشام من الحصون القوية سوى قلعة حلب التى أوصى خاير بك بأخذها . وقبل خروجه من دمشق إلى حلب منع الدعاء للسلطان سليمان الأول فى الخطبة فى سائر جوامع دمشق ، وأمر بالدعاء له أى للغزالى ، وضرب باسمه السكة على الذهب والفضة ، وأعلن نفسه سلطانًا على الشام كلها وتلقب بـ " الملك الأشرف "(١١٧) ، وقد دخل فى طاعته العسكر الشامى ، وأهل دمشق جميعًا وخطب له على منابر مساجدها ، وأمر بأن تزين الشام فزينت زينة لم يعهد لها مثيل قط مدة سبعة أيام(١١٨) .

أما الأمراء فقد قبلوا له الأرض واجتمع حوله عسكر غفير وكثر حوله الملتفون تحت رايته ، ولحق به كثير من مماليك مصر سرًا مناصرة لتمرده ، يريدون عودة الحكم المملوكى ، فاجتمع عليه من الجند حوالى خمسة عشر ألفا من المماليك والتركمان ، وثمانية آلاف من المهرة الرماة فى رمى البنادق(١١٩) .

وتلا ذلك أن بدأ بإعداد حملة قوية لأخذ مدينة حلب - أقوى حصون بلاد الشام - فانضم إلى هذه الحملة أعداد كبيرة من شباب مدينة دمشق ولواءان من نائبه على صفد والقدس ، ومثل ذلك من دواداره الكبير ، فضلاً عن أعداد كثيرة من الجراكسة ومن الأكراد ومن دروز لبنان ، ومن كل الطبقات المختلفة ، وبعد اكتمال الحملة خرج بها الغزالى من دمشق فى ٢٥ من شهر ذى القعدة سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م فى ضجة كبيرة ، ويرافقها عشرون مدفعًا من أعظمها ثلاثة مدافع سحبت من قلعة دمشق على عجل لحصار حلب وانتزاعها(١٢٠) .

وبالإضافة إلى ذلك فقد أرسل له فرسان القديس يوحنا (قراصنة رودس) بعض قطع المدفعية عبر البحر المتوسط لمساعدته ومناصرته فى حربه وتمرده ضد الدولة العثمانية للاستقلال بحكم الشام(١٢١) ، وذلك نظرًا لعدائهم للسلطان العثمانى سليمان الأول لصرفه عن جزيرتهم التى صمم على فتحها مهما كلفة الأمر .

وكان نائب حلب قراجه أحمد باشا أميرًا من صناجق السلطان سليم الأول(١٢٢) ، فلما بلغه موت السلطان سليم الأول وهو بعسكره خارج حلب ، عاد إليها فى ١٧ من شهر ذى القعدة سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م ، ثم صلى صلاة الغائب على السلطان سليم الأول ، وخطبوا باسم السلطان سليمان الأول ، وشرع فى تحصين قلعة حلب ، وأدخل من كان خارج أسوارها ، وسد أبوابها بالحجر والكلس تحسبًا لأى غزو مرتقب(١٢٣) . ، ثم خرج قراجه أحمد باشا نائب حلب العثمانى فى حملة تأديبية على القرى التى ثارت مع الغزالى وقتلت القضاة والموظفين العثمانيين ، فاستولى على ما بها من مال وماشية ، وقتل كل من تصدى لحربه ، لكنه قبل أن يعود إلى حلب تعرض لهجمات من جانب طلائع جيش الغزالى الذى كان يريد حلب قبل دخوله لها ، فأستولت قوات الغزالى على ما كان قد أخذه من مال وماشية من تلك القرى ، إلا أن قراجه أحمد باشا استطاع أن يدخل قلعة حلب وأن يتحصن بها استعدادًا لمحاربة الغزالى(١٢٤) .

ولما تأكد قراجه أحمد باشا أن هدف حملة الغزالى هو حلب ، كتب خطابًا فى الحال إلى السلطان سليمان الأول ، بأنه لا قدرة له على حرب الغزالى ، وأرسله مع عشرة جنود إلى السلطان يستعجله إرسال عدد من العساكر العثمانية لصد حملة الغزالى وإلا أخذت حلب من يديه ، " وقد ضرب الغزالى الحصار عليها، وها أنا محاصر إلى أن يفعل الله ما يشاء "(١٢٥) .

وهكذا ثبت للسلطان عصيان واليه على الشام جان بردى الغزالى وخروجه عن طاعة الدولة(١٢٦) .

لذلك كلف السلطان سليمان الأول اياس آغا بإعداد حملة كبيرة لتأديب جان بردى الغزالى ، وإعادة الشام إلى الطاعة العثمانية كما كانت من قبل فخرج الجيش العثمانى من العاصمة أسطنبول إلى حلب فى ١٣ من شهر ربيع الأول سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م يريد جان بردى الغزالى ، وكانت هذه الحملة تتكون من خمسة آلاف من الانكشارية وعشرة آلاف من الفرسان ، ومعها المدافع والآلات الحربية(١٢٧) .

ثم أمر السلطان سليمان وزيره الثالث فرحات باشا مرافقة الحملة للإشراف عليها ومعه فرقة من طائفة الانكشارية لقتال الغزالى مع قائد الحملة اياس آغا ليتمكنا من قمع ثورته وإخماد فتنته التى آثارها فى بلاد الشام(١٢٨) .

وفى تلك الأثناء أرسل السلطان سليمان الأول إلى خاير بك الذى كان ينتظر أوامره لحرب الغزالى ، بأنه عين حملة عظيمة لتأديب والى الشام الغزالى ، " ولا داعى لإرسال حملة من قبلكم فنحن نكفيكم أمره "(١٢٩) .

أما الغزالى فإنه لما وصل إلى حلب وجد أبوابها أوصدت فى وجهه ، وقد طلع الجند على أسوارها يرقبون وصوله ، فلما اقتربت منهم جموعه رموا عليه بالمدافع والأحجار ، وحاصر الغزالى حلب دون فائدة(١٣٠) . وقطع قناة الماء التى تدخل إلى حلب ، فانقطع الماء عن أهلها(١٣١) ، وهكذا مكث الغزالى ثلاثة أشهر وهو محاصر لها دون أن يستطيع أخذها لوقوف أهلها واستبسالهم دونها ، ، حتى دخل عليه الشتاء واشتد البرد واستنفد قدرًا عظيمًا من ذخيرته ومؤنته فانسحب عنها ، وكان فى نيته أن يعود إليها بعد ترتيب قواته ولا يعود إلا بعد أخذها عنوة مهما كلفه الأمر(١٣٢) .

وبعد أن رفع الغزالى الحصار عن حلب توجه إلى حـاكم غـزة لأخذهـا منـه بعد أن أعلن عليه العصيان لولاءه للدولة العثمانية . وقد مر بمدينة صيـدا وهـو فـى طريقة إلى غزة ، وهناك رآه محمد ابن حنـش أحـد أنصـار الدولـة(١٣٣) . فأرسـل خطابًا بما رأى إلى قاضى العسكر العثمـانى بأسـطنبول يقـول توجـه ملـك الأمـراء جان بردى الغزالى ومن صحبتـه من العساكـر إلـى بلاد صيدا ولا يعلم المملوك (محمد بن الحنش) سبب لذلك والذى أرفعه لكـم أن الغـزالى مـا كـان يقيـم فـى بـلاده منـذ مـدة إلا بالمراسـيم والتشـريفات(١٣٤) . ويعنـى ذلـك رفـض الطاعـة العثمانية وإعلان سلطنته على الشام .

وهكذا انسحب الغزالى وعاد قافلا إلى دمشق فتفرقت الجموع التى كـانت مرافقة له ولحملته إلى بلادهم دون أن يحصل على مكاسب تذكر بعد أن قاسوا من البرد والمطر ما لا يوصف(١٣٥) ، ففرح أهـل حلـب بانسـحابه فرحًـا عظيمًـا لمـا كانوا فيه من الشدة والغلاء من جراء حصاره لهم ، كما ردوا قنـاة المـاء المقطوعـة التى سبق أن قطعها جنوده إلى حلب ، وخرج الناس لأعمالهم(١٣٦) .

وحين وصولـه إلى دمشـق ، علـم الغـزالى بـأن نـائب حلـب قـد كتـب إلى السلطان سليمان الأول يخبره بما فعل بحلب ، فضاق صدره وخاصة لما علم بقـدوم الجيش العثمانى مع إياس آغا(١٣٧) ، وأنه لم ينتظر انقضاء فصـل الشـتاء ودخـول فصل الصيف كما كان يخطط الغزالى نفسه للعودة إلى أخذ حلب .

وقد نقل للغزالى هذا الخبر رجل من أنصاره مـن أهـل حلـب ، وسـفه رأيـه وأحلامه وما قدم عليه من فعل ، ثم نصحه قائلاً : " إذا أمكنك الهـرب فـأهرب " فندم الغزالى ، واحتار كيف يصنع أمام هـذا الأمـر ؟ واضطربـت أحوالـه علـى مـا فعل! وكتم ذلك فى سره ، وبقى فى حيرة من أمره ماذا يفعل ؟ وكيـف يتصـرف لمعالجة هذا الموقف ؟ هل يهرب كما نصح ؟ إن القرار صعبًا ! كيف يستطيع تـرك بلاد الشام ؟ ، ان بقى فإنـه لا قـدرة لـه علـى حـرب السـلطان العثمـانى ، لتفـرق جيوشه التى جمعها من قبل لحرب العثمانيين ، وقد رحلت إلى بلادها(١٣٨) .

وهكذا ظل الغزالى فى دوامة من التفكير والهم والغم حتى انتهى فصل الشتاء ووردته الأخبار بأن إياس آغا قادم إلى الشام فى عسكر كثير يفوق الوصف(١٣٩) ، عند ذلك أمر عسكره بالخروج لملاقاة جيش الدولة العثمانية فى عملية انتحارية غالبًا أو مغلوبًا(١٤٠) . وشرع فى تحصين قلعة دمشق بسد جدار وفك أخرى ، وحرق بعض الأسواق ، ثم قام فى جيشه خطيبًا ، وخطب خطبة حماسية يشحذ بها همم جنوده للاستبسال فى صد القوة العثمانية حيث قال : " لا تقاتلوا العثمانيين لأجلى بل قاتلوهم خوفًا على حريمكم " ثم أحضرهم لدى قاضى دمشق بالجامع الأموى وحلفهم على القيام معه على حرب الدولة العثمانية.

وتلا ذلك أنه فى يوم الجمعة ٢٢ من شهر ذى الحجة خطب لجان بردى الغزالى بالجامع الأموى وفى حضرته بأنه سلطان الحرمين الشريفين ، ولقب بالأشرف ، وخرج من الجامع فى موكب حافل(١٤١) .

أما الحملة العثمانية فقد سارت إلى دمشق يرافقها الوزير فرحات باشا وإياس باشا وقراجه أحمد باشا بمن معهم من الجيوش ، وكان معهم ثمانية عشر من المدافع الكبار(١٤٢) . والتف حولهما عساكر كثيرة لا تحصى . وما أن وصل الركب ظاهرة دمشق حتى أرسل إياس آغا رسولاً من قبله بكتاب إلى الغزالى(١٤٣) ليستعد للحرب والقتال والطعن والنزال ، وينتظر ما يفعله الأبطال جيش السلطان سليمان الأول ، وأخذ يوبخه ويحظ من شأنه ، ومن جملة ما قاله : " أنه لو كان فيك خير كان لأبناء جنسك فالذى ما فيه خير لجنسه كيف يكون فيه خير لغير جنسه ، يا خائن ... يا غدار ... " ، وأخذ يؤنبه على ما فعله من عصيان ضد الدولة العثمانية ويقول : " إنما هذه نيتك الخبيثة انقلبت عليك فسوف ترى صنع الله فيك غدًا أن شاء الله تعالى " .

وحين وصل خطاب إياس باشا إلى الغزالى قام بفضه ، وقرأه فازداد همًا على هم ، وضاق صدره ، ولم يستطع النوم فى تلك الليلة ، وأحس بزوال حكمه ونعمته التى كان يرفل بها ، ولم تبق له حيلة يحتال بها أو عذر يعتذر به ولكنه لم يظهر ذلك الشعور بالخوف لأحد من أصحابه ، بل كتم ذلك السر بين أضلاعه(١٤٤) .

وفى يوم ٢٦ من شهر صفر سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م ، خرج جان بردى الغزالى لملاقاة الجيش العثمانى ، فما طلع إلا وقد اصطفت عساكره ، ودقت طبوله للحرب ، ووقف بنفسه يرتب جنوده بالميمنة والميسرة(١٤٥) ، ومن ناحية أخرى أقبلت عساكر الدولة العثمانية واصطفت هى الأخرى للحرب تحت قيادة إياس آغا(١٤٦) ، وفى وقت الظهر من يوم الثلاثاء ٢٧ من شهر صفر سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م تلاقى الجيشان وتلاحق العسكر العثمانى والشامى فكانت المعركة الحاسمة بأرض النمور شرقى قرية برزة من ضواحى دمشق(١٤٧) ، وقيل فى القابون التى تقع على بعد ميل واحد من الطريق المؤدى إلى العراق من دمشق(١٤٨) ، حيث التحم القتال بين الجيشين .

ولكن الغزالى حمل على العسكر العثمانى حملة قوية شتتتهم ومزقتهم شر ممزق ، فكان يقاتل قتال المستميت الذى يئس من الحياة ، فقتل من العسكر العثمانى عدد كثير .

ولكن لم تلبث أن تغيرت موازين المعركة وانقلبت إلى صالح إياس آغا(١٤٩)، ودب الخلل فى جيش الغزالى ، واختل منه النظام ، وحميت المعركة وتلاعبت السيوف بالأعناق(١٥٠) ، وأظلم الجو من البارود ما بين السماء والأرض من أفواه المدافع حتى حجبت الرؤيا على جند الغزالى(١٥١) ، فانكسر الغزالى وهرب إلى حماه ولكن الجيش العثمانى لحق به واقتتلوا معه فانسحب ودخل دمشق .

وكانت بين الفريقين معركة قوية دارت رحاها خارج مدينة دمشق ، قتل فيها نحو عشرة آلاف جندى ، وقيل أكثر من ذلك . وانكسر الغزالى على أثر هذه الموقعة واستطاع إياس آغا قمع ثورته(١٥٢) ، وتمكن الجند العثمانى من القبض عليه ، فقتل وحزت رأسه ، وأرسلت إلى السلطان العثمانى فى أسطنبول مع رؤوس عدد من جماعته وأعوانه(١٥٣) .

وقد انفرد ابن زنبل فى رواية عن كيفية مقتل جان بردى الغزالى ، وهو المعاصر لهذه الأحداث وكان بمنزلة المستشار للسلطان الغورى ومن بعده للمماليك يأنسون لرأيه ويصدقون ما يقوله ، حيث قال : " فما كان إلا ساعة واحدة ، وقد ذهبت تلك العساكر والجموع وما سلم منهم غير طويل العمر ، وبقى الغزالى واقفًا لا يعرف كيف يصنع ولا أين يذهب ؟ فالتفت فوجد صنجقه(١٥٤) ، واقفًا ليس عنده أحد ... " فلما رآه واقفًا والعلم فى يده قال له : " يا ولدى إلى متى وأنت تقف وعسكرنا كلهم هلكوا وتشتتوا ؟ قال : وإلى أين أذهب ؟ ... لا أفارقك حتى تذهب روحى . فشكره الغزالى على ذلك ، وقال له : يا ولدى ما بقى لنا غير الفرار من هذا العسكر . فقال له : وا لله يا سيدى ما عملت فينا خيرًا، وما ضرك لو كنت باقيًا على ما أنت عليه أمنًا على نفسك ، وإن كنت سلطان مخيفًا سعيت فى هلاك نفسك وأهلكتنا فى جرتك ، قال : ما كنت أظن أن الأمر كذلك ، وأن العساكر تفر منى وينقلب الأمر . فقال له على بالى : أن العارفين قالوا من لم يحسب العواقب ما الدهر له بصاحب " .

فقال له الغزالى : ما دام غبار المعركة قائمًا فأقلع العلم من فوق رمحه وضعه فى مخلاته وادفن المخلاة فى الأرض ، وارم رمح العلم ، فننزل من فوق ظهور خيلنا ونخلع كامل ملابسنا الحربية ، ونتنكر حتى ننجوا بأنفسنا من إياس آغا وعسكره ، فإذا رأونا على هذا الحال لا يمكن أحد أن يعرفنا(١٥٥) . ونفذ الغزالى فكرته فى الحال حيث نزل عن فرسه للتنكر استعدادًا للهرب ، فخلع لبسه ودفنه فى التراب و لم يبق فوق جسمه غير القميص الداخلى ، ورأسه مكشوف ، وزيادة فى التنكر لاط وجهه بالتراب ، حتى يستطيع بهذه الحيلة أن يفلت من يد إياس آغا وعسكره(١٥٦) .

ولما رأى على بالى الغزالى بهذه الصفة انتقده وقال له : " وا لله يا سيدى ليس عندك من الأمر شئ ، فإننا لو كنا على ظهور خيلنا ... وهربنا ... حمينا أنفسنا ... من محل الحرب ثم ننزل على بعد ونختفى فى مكان لا يعرفنا به أحد ،

وأما نزولنا فى محل المعركة فلا فائدة فيه " فركب على بالى فرسه وهم بالهرب ، فقال الغزالى : " هكذا يا على تذهب وتتركنى للعدو ؟ " وفى خلال هذا الحوار بينهما انجلى غبار المعركة ، وشاهد الناس بعضهم بعضًا ، وإذا بمنادى القائد العثمانى إياس آغا ينادى ويقول : " كل من جاءنا بالغزالى أو برأسه أو دلنا عليه أو على مكانه أعطيناه جميع ما يتمناه "(١٥٧) .

عندئذ لوى على بالى عنان فرسه نحو الميدان ، وعند وصوله وجد طائفة من الجند العثمانى ، فقال أنا أدلكم على مكانه ، فالتفوا حوله وقالوا أين هو ؟ قال : هو قريب من هنا ، ولكن لا أدلكم عليه حتى تعاهدونى على إعطائى ما أريد ؟ فأجابوه على ما يريد ؟ فقال : أريد أن أكون أمير صنجق ، وأنا حامل صنجقة ، وأننى من أبناء الشام ، ونحن للسلطان سليمان طائعون ، فقالوا : لك ما ترد ، فقادهم إلى الغزالى ، وهو ما زال واقفًا فى مكانه يدور ويقول : " هو هو " فأشار على بالى إليه وقال هذا هو الغزالى ، كان يقصد الغزالى بهذه الكلمات " هو هو " أن يحتال بها عليهم حتى لا يعرفونه حين رآهم يتجهون إليه(١٥٨) .

وقد اتهم الجند على بالى بالسخرية عليهم فأخذ من جانبه يؤكد بإنه الغزالى ، ولكنهم أنكروا عليه ذلك بقولهم بأن الغزالى كان يحاربنا بعدته الحربية ، فأخبرهم بما فعل من حيلة ، فطوقه الجنود وأمسكوا به وهو يهذى كالمجنون ويقول : " هو .. هو .. هو .. " فبادروه بالسؤال هل أنت الغزالى ؟ فقال لهم أنا رجل درويش عريان ومن أين لى أن أكون كالغزالى ، فكاد أن يطلقه الجنود ، فقد تحيروا ، وعلى بالى يحلف ويؤكد ويقول لا تصدقوه ، أنه هو الغزالى ، تعالوا أدلكم على لباسه المدفون وسلاحه وفرسه التى لا تزال فى الميدان ،وذهب بهم إلى المكان فوجدوا الدليل على صحة ما يقول على بالى عندما رأوا ثيابه وفرسه وسلاحه فى ذلك المكان ، لكن الغزالى كان مصرًا على إنكار ذاته .

ولما تحير الجند العثمانى فى أمره حسم على بالى الموقف وقال لهم : " أنا : لع رأسه وأذهب به إلى إياس آغا فإنه يعرفه ، فإذا لم يكن هو فرأسى عوضًا عن

رأسه " ، وعندما وصلوا جميعًا إلى إياس آغا وأخبروه بالأمر طلب منهم إحضار الرأس حتى يراه بنفسه ، فأتوا به ووضعوه أمامه ، فتأمله ثم صرخ بالقول بأن هذا هو رأس الغزالى ، ولا مجال للشك به ، فحسم الأمر وطلب منهم الرجل الذى دلهم عليه ، فحضر على بالى إليه ، فخلع عليه خلعة ثمينة وعينه أمير صنجق كما طلب(١٥٩) .

وقد ذكر محمد فريد بك هذه القصة فى إيجاز حيث قال : " وقتل أغلب من كان معه وفر متنكرًا (الغزالى) لكن خانه بعض إتباعه (على بالى) وسلمه إلى الوزير فرحات باشا فقتله ، وأرسل رأسه إلى أسطنبول "(١٦٠) .

وهناك قول آخر وهو أنه عندما انكسر الغزالى فى المعركة التى سبق ذكرها هرب إلى حماه وتبعه الجيش العثمانى ، ففر من حماه حتى دخل دمشق واعتصم بها، فدارت معركة بين الجيش العثمانى والجيش الشامى خارج مدينة دمشق على القابون ، فقتل فى هذه المعركة نحو عشرة آلاف جندى ، وقيل أكثر ، ففى نهاية المعركة انكسر الغزالى بجيشه الشامى على يد الجيش العثمانى ، واستطاع إياس آغا إفساد ثورته(١٦١) ، وقد تمكن الجيش العثمانى من القبض عليه أثناء المعركة ، فقتلوه وحزت رأسه وأرسلت إلى السلطان بأسطنبول مع رؤوس كثير من أنصاره وأعوانه(١٦٢) ، كهدية للسلطان سليمان وقد وصل إليه فى السادس من شهر فبراير سنة ١٥٢٠م ، فى حالة تعفن شديد ورائحة كريهة(١٦٣) .

وفى رواية أخرى قيل قتل الغزالى بيد القوات العثمانية التى تعقبته أثناء فراره للالتجاء إلى عشيرة عنزة المشهورة لدى العرب قبل أن يصل إليها(١٦٤) .

وقيل أن الغزالى الطاغى الباغى قطع رأسه من قبل الوزير فرحات باشا وجنوده ، الذى أمره السلطان بأن يرافق الحملة للإشراف عليها ، وأرسل بها إلى السلطان سليمان فى أسطنبول بعد أن قطع جسده تحت سيوف الانكشارية فى ساحة المعركة فى ٧ / ٢ / ٩٢٧هـ الموافق ١٢ / ١٢ / ١٥٢٠م ، فكفى الله السلطان العثمانى أمره ، ودرأ عن المسلمين شر فتنته(١٦٥) .

يقول محمد كرد على : لما دارت الدائرة على جان بـردى الغـزالى وانكسـر هـو وجيشه أمام الجيش العثماني ، تشتت جيشه من حوله ، فقتله خازن أمواله ، وجاء برأسه إلى القائد العثمانى ، فذهب هو ودولتـه الموهومـة فلـم ينـل الشـام ولم ينـل الشام منه إلا الضغط والشدة بعد تمرده ، الذى أضر به الشام ومزق كلمته(١٦٦) .

وعندما أرسل إياس برأسه إلى السلطان سر لذلـك ، وأرسـل إلى إيـاس آغـا يشكره على ما فعل ، وأمره بأن يتولى حكم الشام ، وعدم إيذاء رعايا بلاد الشـام ، وأقامة الحدود وتطبيق الشريعة على الوجه الشرعى وإقامة العدل فى أحكامه مـع أهل الشام(١٦٧) .

وهكذا انتهت حركة الغزالى فى الشام بالفشل ، وعاد الشـام مـرة ثانيـة إلى الحكم العثمانى ، بعد أن استوعبت الدولة العثمانية الـدرس ، فغـيرت نظـام الشـام من ولاية واحدة إلى أربع ولايات ، يقوم بحكم كل ولاية منهـا واليًـا مستقل عـن الآخر وهى (حلب ، ودمشق ، وصيدا ، وطرابلس)(١٦٨) على أن ترتبـط هـذه الولايات ارتباطًا كليًا بالسلطان العثمانى فى أسطنبول فى كـل قضاياهـا وأمورهـا الداخلية والخارجية(١٦٩) .

* * *

وهكذا استطاعت الدولة العثمانية أن تنهى ثورة الغزالى وتسـكنها وتسـتعيد حكم الشام الذى كاد أن يفلت من قبضتها ، وأن يعكس أحلام الشاه الذى كـان يرقب ثورة الغزالى فى مدينة قيسرى إذ لو نجح الغزالى فى مهمته لانقـض إسمـاعيل الصفوى بجنوده إلى جانبه ضد عدوهم المشترك (الدولة العثمانية) للأخذ بثأره فى موقعة جالديران ، ولكن فشل الغزالى اضطر الصفوى إلى تهنئـة السـلطان سـليمان الأول بنجاحه فى معركة الشام والقضاء على خصمه(١٧٠) .

وبذلك فشل التحالف الصفوى المملوكى لقوة الدولة العثمانية(١٧١) .

وكان مدة ولاية جان بردى الغزالى على الشام ثـلاث سـنين وسـبعة أشـهر زال حكمه وكأنه لم يكن(١٧٢) .

هوامش

(١) عبد الجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك على مصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة الحسين الإسلامية ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ص ٥ ، ٦ .

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوى : فتح العثمانيين عدن ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار التراث ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص٨٧ .

(٣) محمد بن أحمد ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص١٩٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ .

، عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص ٦ - ٧ .

(٤) قطب الدين النهروالى : الإعلام باعلام بيت الله الحرام ، طبع مدينة غتنقه ، بمطبعة المدرسة المحروسة ، ١٢٧٥هـ ، ص ٢٧٦ .

، جار الله بن فهد المكى : الجواهر الحسان فى مناقب السلطان سليمان بن عثمان ، مخطوط ورقة ٤٥ .

، أحمد زينى دحلان : الفتوحات الإسلامية ، القاهرة ، الناشر : مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م ، ج٢ ، ص١٤٠ .

، رأفت الشيخ : تاريخ العرب الحديث ، القاهرة ، الناشر : عين الدراسات الإنسانية والاجتماعية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ٢٣ .

(٥) محمد ابن أبى السرور : المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية ، مخطوط ، محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ١٦٢٣ ، وتوجد منه نسخة بمركز البحث العلمى ، ورقة ١٠ .

، قطب الدين النهروالى : المصدر السابق ، ص٢٧٦ - ٢٧٧ .

، أحمد زينى دحلان : المصدر السابق نفسه .

(٦) البيره : قلعة حصينة بين حلب والثغور العثمانية ، انظر : ابن زنبل أحمد الرمال : آخرة المماليك واقعة السلطان الغورى مع السلطان سليم العثمانى ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ص١٩.

(٧) ابن زنبل : المصدر السابق .

(٨) محمد عبد اللطيف البحراوى : المرجع السابق ، ص٨٦ .

(٩) جار الله بن فهد المكى : المصدر السابق نفسه .

(١٠) جار الله بن فهد المكى : المصدر السابق ، ورقة ٤٨ .

، محمد بن أبى السرور : المصدر السابق نفسه .

، قطب الدين النهروالى : المصدر السابق ، ص٢٧٧ .

، إبراهيم بك حليم : التحفة الحليمية فى تاريخ الدولة العلية ، الطبعة الأولى ، مطبعة عموم الأوقاف ، ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م ، ص ٨٢ .

، عمر بن عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص٧٤ .

(١١) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، القاهرة ، مطبعة الواعظ مصر ، ١٢٣٥هـ / ١٩١٧م ، ج٢ ، ص٥١ .

(١٢) جار الله بن فهد المكى : المصدر السابق نفسه .

، محمد بن أبى السرور : المصدر السابق نفسه .

، إبراهيم بك حليم : المصدر السابق نفسه .

، عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق نفسه .

(١٣) ابن زنبل : المصدر السابق، ص٢٢

، عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص٢٢ .

(١٤) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

، عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص٧٤ - ٧٥ .

(١٥) عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ٧٤ - ٧٥ .

، ابن زنبل : المصدر السابق ، ص٢٢ ، ٢٣ .

، حسن لبيب : المصدر السابق نفسه .

(١٦) جار الله بن فهد : المصدر السابق نفسه .

، محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق نفسه .

، قطب الدين النهروالى : المصدر السابق نفسه .

. إبراهيم حليم بك : المصدر السابق نفسه .

(١٧) الجلبان : الجنود المجلوبة بالشراء للحرب كلهم من مشتريات السلطان الغورى بماله الخاص مدربين على كافة أنواع الحرب والفروسية . انظر : ابن زنبل : المصدر السابق ، ص٢٦ .

(١٨) القرانيص : هم جند المماليك قديمو الهجرة بالديوان أصحاب الأرزاق الكبيرة (الرواتب) وهم فى منزلة أمراء الخمسوات . انظر : ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(١٩) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٦ .

(٢٠) قطب الدين النهروالى : المصدر السابق ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

، محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق نفسه .

، أحمد زينى دحلان : المصدر السابق ، ص ١٥١ .

، عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ الشعوب الإسلامية ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ ، ص٨٩ .

Stanford Show, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Cambridge, London, 1976, p. 84.

(٢١) قطب الدين النهروالى : المصدر السابق ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

، محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق ، ص١٥١ .

Stanford Show, Ibid.

، عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق نفسه .

(22) Stanford Show, Ibid.

(٢٣) قطب الدين النهروالى : المصدر السابق نفسه .

، محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق نفسه .

Lewis, B, Pellat, Ch., and Schacht : The Encyclopaedia of Islam.

New Edition, Vol,II . E. J. Brill, Leiden, 1965, p. 1042.

(٢٤) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص١٥ .

(٢٥) محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق نفسه .

، ابن زنبل : المصدر السابق ، ص٢٨ ، ٢٩ .

، جار الله بن فهد : المصدر السابق ، ورقة ٤٨ .

، قطب الدين النهروالى : المصدر السابق ، ص٢٨٧ .

Lewis, B, Pellat, Ch., and Schacht : op. cit, p, 1042.

، السيد عبد المؤمن السيد أكرم : أضواء على تاريخ توران ، مكة ، مطبعة رابطة العالم الإسلامى ، ص١٧٤ .

، فيليب حتى وآخرون : تاريخ العرب ، الطبعة السابعة ، بيروت ، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦م ، ص ٧٩٧ .

(٢٦) عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص٧٦ .

(٢٧) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢٨) محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق نفسه .

، جار الله بن فهد : المصدر السابق نفسه .

، فيليب حتى وآخرون : المصدر السابق نفسه .

، السيد عبد المؤمن السيد أكرم : المرجع السابق نفسه .

(٢٩) عمر بن عبد العزيز عمر : المرجع السابق نفسه .

(٣٠) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٣١) محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق .

، جار الله بن فهد : المصدر السابق نفسه .

، قطب الدين النهروالى : المصدر السابق نفسه .

، فيليب حتى وآخرون : المرجع السابق .

Stanford Show, op. cit., p. 84.

، السيد عبد المؤمن السيد أكرم : المرجع السابق نفسه .

(٣٢) قطب الدين النهروالى : المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .

، محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق نفسه .

V . J. Parry : A Hisory of the Ottoman Empire to 1730, Cambridge,London, New York, p. 75.

، أحمد زينى دحلان : المصدر السابق ، ص١٤١ .

، محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦ ، ص ٥١ .

(٣٣) أحمد زينى دحلان : المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

(٣٤) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٣٥) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص٤٠ .

(٣٦) قطب الدين النهروالى : المصدر السابق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

، محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق نفسه .

V . J . Parry : op. cit, p. 75.

، أحمد زينى دحلان : المصدر السابق ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

، محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق نفسه .

(٣٧) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص٣٦ ، ٤٢ .

، ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٤٣ - ٤٥ .

، عبد الجواد صابر إسماعيل : المصدر السابق ، ص ٦ - ٧ .

(٣٨) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص٣٦ .

(٣٩) أحمد عزت عبد الكريم : التقسيم الإدارى فى العهد العثمانى ، حوليات كلية الآداب ، المجلد الأول مايو سنة ١٩٥١م ، القاهرة ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥١م ، ص١٦٥ .

(٤٠) إبراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربى فى العهد العثمانى ، ١٥١٦ - ١٩١٦ م ، الموصل مدير مطبعة الجامعة ، ص٣٥ - ٣٦ .

(٤١) قطب الدين النهروالى : المصدر السابق ، ٢٨٠ - ٢٨١ .

V . J . Parry : op. cit. p. 75 - 76 .

، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، الطبعة السادسة ، بيروت دار العلم للملايين ، ١٩٧٤م ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

، عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

، محمد أسعد طلس : تاريخ العرب ، بيروت ، دار الأندلس ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٤٢) قطب الدين النهروالى : المصدر السابق نفسه .

، محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق ، ورقة ١٢ .

(٤٣) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٥م ، ص١١٣ .

(٤٤) عبد الجواد صابر إسماعيل : مصر تحت الحكم العثمانى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة الحسين الإسلامية ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ، ص٢٨ .

(٤٥) قطب الدين النهروالى : المصدر نفسه .

، محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق نفسه .

(٤٦) بسام العسيلى : فت الحرب الإسلامى فى العهد العثمانى ، بيروت ، الناشر : دارالفكر ، ج٥ ص ١١٧ .

(٤٧) نيقولاى ايفانوف : الفتح العثمانى للأقطار العربية١٥١٦ - ١٥٧٤م ، نقله إلى العربية، يوسف عطا الله ، الطبعة الأول ، بيروت ، الناشر ، دار الفارابى ، ١٩٨٨ ، ص٧٧ .

(٤٨) محمد قطب الدين النهروالى : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

، محمد بن أحمد ابن إياس ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

(٤٩) عبد الجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك على مصر ، ص ٧١ .

(50) Ismail Hami Daui Danismend : Izahli Osmanli Tarihi Kronolo Jisi, Turkiye Yeylnevi, Istanbul, p. 66.

، ابن إياس : المصدر السابق ، ص٢٠٨ .

(٥١) ابن زنبل أحمد الرمال : آخرة الممـاليك ، واقعـة السـلطان الغـورى مـع السـلطان سـليم العثمانى ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، ص١٥٤ .

، كامل باشا : تاريخ سياسى دولت عليه عثمانية ، مطبعة أحمد أحان ، ١٣٢٧ هـ ، ج١، ص١٦٣ .

، فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٥٩م ، ج٢ ص ٣٠٧ .

، أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، بيروت دار النهضة العربية ١٩٧٠م ، ج١٢ ، ص١١٠ ، عمر سليم إسكندر : تاريخ مصر من الفتـح العثمـانى إلى قبيل الوقت الحاضر ، راجعه الكبتن أ . ج . سفدج ، القاهرة ، الناشر : مكتبة مدبولى ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص١١.

، إبراهيم شحاته حسن : أطوار العلاقات المغربية العثمانية ، الإسكندرية ، الناشر : منشـأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨١م ، ص٩٧ .

(52) Antony Bridge : Suleman the Magnificent, Scourge of Heaven, Granada, London, p. 40.

، عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص٧١ .

(٥٣) بـلاد المعـرى : هـى معـرة النعمـان ومـا حولهـا . وانظـر : محمـد بـن طولـون الصـالحى الدمشقى: إعلام الورى بمن ولى نائبًا من الأتراك بدمشـق الشـام الكـبرى ، تحقيـق محمـد أحمد دهمان ، الطبعة الثانية ، دمشق ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٢٤٤ .

(٥٤) شمس الدين محمد ابن طولـون : مفاكهـة الخـلان فـى حـوادث الزمـان ، حققـه : محمـد مصطفـى ، القـاهرة ، المؤسسـة المصريـة العامـة للتـأليف والترجمـة والطباعـة والنشـر ، ١٣٨١هـ ١٩٦٢م ، ج٢ ، ص٨٢ ، ابن طولون : إعلام الورى ، ص٢٤٤ .

(٥٥) الفتح العثمانى للإقطار العربية ... ، ص٧٧ .

(٥٦) عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص٧ .

(٥٧) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص١٥٤ .

(٥٨) ابـن طولـون : مفاكهـة الخـلان ، ج٢ ، ص٨٣ . ، ابـن طولـون : إعـلام الـورى ... ، ص٢٤٤ .

(٥٩) أحمد فؤاد متولى : الفتح العثمانى للشام ومقدماته ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ م ، ص٢٤٢ .

(٦٠) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣٨٢ ، نيقولاى ايفانوف : المرجع السابق ، ص ٧٧ - ٧٨ ، فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج٢ ، ص٣١١ .

(٦١) أحمد فؤاد متولى : المصدر السابق نفسه .

(٦٢) نيقولاى ايفانوف : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٦٣) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ج٢ ، ص١٠١ ، ١٠٢ ، عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص٧٣ ، ٧٤ .

(٦٤) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ج٢ ، ص١٠٢ .

(٦٥) عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص٧٤ .

(٦٦) محمد كرد على : خطط الشام ، الطبعة الثالثة ، الناشر ، مكتبة النورى ، دمشق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص٢٢١ ، فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج٢ ، ص٣١١ ، عبد الوهاب بكر : الدولة العثمانية ومصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٣م ، ص١١

Antony Bridge : op. cit, p. 40.

(٦٧) أحمد متولى فؤاد : المصدر السابق ، ص١٤٥ ، كامل باشا : المصدر السابق نفسه .

(٦٨) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

(٦٩) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ص١٢٣ .

(٧٠) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣٦٧ .

Lewis, B, Pellat, Ch., and Schach : op. cit., p. 1042.

(٧١) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، الطبعة الأولى ، مصر ، طبع بالمطبعة الأ ـ ة ببولاق ، ١٣١٢هـ ، ج١ ، ٥٣٣ .

، أحمد رشيد : خريطة لى ورسملى مكمل تاريخ عثمانى ، استانبول ، كتاب خانة تفيض ١٣٢٧هـ ، ج١ ، ص٢٣٧ ، ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

Ismail Hami Daui Danismend : op. cit., p. 66.

، عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص٧٤ ، بسام العسيلى : المرجع السابق ، ص١٢١ .

(٧٢) أحمد فؤاد متولى : المصدر السابق نفسه .

(٧٣) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٣٨٢ ، عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص ٧٤، ٧٥ .

(٧٤) إسماعيل سرهنك : المصدر السابق نفسه .

(75) Ismail Hami Daui Danismend : op. Cit., p. 66.

(٧٦) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص١٥٤ .

(٧٧) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

(٧٨) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

Philip K. Hitti : Syria, A Sort History, London, Macmillan, Co , Ltd. 1959, p. 215.

، عبد الجواد صابر إسماعيل ، المرجع السابق نفسه ، بسام العسيلى : المرجع السابق ، ص١٢١ .

، محمود شاكر : التاريخ الإسلامى العهد العثمانى ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الإسلامى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج٨ ، ص١٠٤ .

(٧٩) إسماعيل سرهنك : المصدر السابق نفسه .

(٨٠) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عنان محمود سلمان ، تركيا ، استانبول ، منشورات موسسة الفيصل للتمويل ، ١٩٨٨م ، ج١ ، ص٢٦١ .

، محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة ، الطبعة الأولى ، دمشق دار القلم ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص ٩٠ .

(٨١) عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص٧٥ .

(٨٢) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

(٨٣) ابن طولون : أعلام الورى ... ، ص٢٥١ .

(٨٤) الفتح العثمانى للشام ومصر ومقدماته ، ص ٢٤٣ .

(٨٥) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

(٨٦) لا يعرف كيف وصل هذا الجاسوس إلى كاشان بعد أن وقع فى الأسر أثناء تجسسه فى مصر فربما سهل له الهرب من قبل والى مصر خاير بك أو أحد رجاله ، وربما استطاع الهرب بنفسه دون مساعدة من أحد ، وهو جاسوس على جانب كبير من الأهمية .

انظر : أحمد فواد متولى : المصدر السابق ، ص ٢٤٤ .

(٨٧) الشاه إسماعيل الصفوى .

(٨٨) وثيقة رقم ٥٤٩ ، محفوظة بأرشيف طوبقبوسراى ، بأسطنبول .

، أحمد رشيد : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٨٩) محمد حرب : المرجع السابق ، ص٩٠ ، أحمد رشيد : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .

(٩٠) وثيقة رقم (٦٣٦٢) محفوظة بأرشيف طوبقبوسراى باسطنبول .

(٩١) عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(92) Ismail Hami Daui Danismend : op. cit., p. 66.

، ابن زنبل : المصدر السابق ، ص١٥٤ ، ١٥٥ .

Lewis, B, Pellat, Ch., and Schacht : op. cit., p. 1042.

، إسماعيل سرهنك : المصدر السابق نفسه ، بسام العسيلى : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

، اندرى كلو : سليمان القانون مثل التمازج بين الهوية والحداثة ، تعريب البشير سلامة بيروت ، دار الجيل ، ص ٧٢ .

، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقى ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النفايس ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٩٩، يلماز: المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

(٩٣) أمراء العشرات : هى امرة عشرة وفى الممالك الشامية تكون تولية العشرات عن النواب أكثر ، وإذا كتبت مراسيمهم عن الأبواب السلطانية ففى قطع الثلث . هكذا وردت . انظر : أبو العباس أحمد بن على القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، المطبعة الأميرية ، وزارة الثقافة والارشاد ، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، ج١٢ ، ص١٩٧ - ٢٨١ .

، محمد قنديل البقلى : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م ، ص٢٤٥ .

(٩٤) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣٦٧ - ٣٦٨ ، محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص١٩٩ ، بسام العسيلى : المرجع السابق نفسه .

(٩٥) محمد حرب : المرجع السابق ، ص١٤٦

(٩٦) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣٦٨ .

، عبد الجواد صابر إسماعيل ، المرجع السابق ، ص٧٦

(٩٧) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٩٨) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣٧٣ ، ٣٧٥ .

، عبد الجواد صابر إسماعيل ، المرجع السابق ، ص ٧٥، أحمد فؤاد متولى : المصدر السابق ، ص٢٤٣ .

(٩٩) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص١٥٥ .

(١٠٠) وثيقة رقم ٥٤٦٩ محفوظة بأرشيف طوبقبو سراى بأسطنبول .

، أحمد رشيد : المصدر السابق ، ص٢٣٧ كامل باشا : المصدر السابق ، ص١٦٤ .

(١٠١) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص١٥٧ - ١٥٨ .

(١٠٢) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص١٥٨ .

(103) Ismail Hami Daui Danismend : op. cit., p. 66.

(١٠٤) ابن طولون : إعلام الورى ... ، ص ٢٤٧

، ابن طولون : مفاكهة الخلان ... ، ص١٢٣ .

(١٠٥) ابن طولون : مفاكهة الخلان ... ، ص١٢٣، عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(١٠٦) ابن طولون : مفاكهة الخلان ... ، ص ١٢٣ .

، ابن طولون : إعلام الورى ... ، ص٢٤٧ .

(107) Antony Bridge : op, cit, p. 40.

، عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، ص١١١ .

(١٠٨) ابن طولون : إعلام الورى ... ، ص٢٤٧ Antony Bridge : Ibid.

، أحمد فؤاد متولى : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(١٠٩) أحمد فواد متولى : المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .

(١١٠) وثيقة رقم ٦٣٦٢ ، محفوظة بأرشيف طوبقبو سراى بأسطنبول .

(١١١) ابن طولون : إعلام الورى ... ، ص٢٤٧ Antony Bridge : Ibid.

، أحمد فواد متولى : المصدر السابق ، ص٢٤٦ .

(١١٢) ابن طولون : إعلام الورى ... ص٢٤٨ Antony Bridge : Ibid.

(113) Ismal Hami Daui Danismend : op. cit., p. 66.

، نيقولاى أيفانوف : المرجع السابق ، ص٧٨ .

(١١٤) محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق ، ورقة ١٥ ، ابن زنبل : المصدر السابق، ص ١٥٦ .

، ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٣٦٨ ، فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ص٣١١ .

، نيقولاى أيفانوف : المرجع السابق نفسه ، محمد كرد على : المصدر السابق ، ص٢٢٢ .

(١١٥) ابن إياس : المصدر السابق نفسه Philip K. Hitti : op. cit., p. 215.

، ابن زنبل : المصدر السابق نفسه ، أحمد رشيد : المصدر السابق ، ص٣٨ .

، محمد كرد على : المصدر السابق نفسه، أحمد زينى دحلان : المصدر السابق ، ص ١٥١.

(١١٦) محمد كرد على : المصدر السابق نفسه .

Lewis, B, Pellat, Ch., and Schacht : op. cit., p. 1042.

(١١٧) ابن طولون : إعلام الورى ... ، ص٢٤٨ ، ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .

، ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

(١١٨) نيقولاى ايفانوف : المرجع السابق نفسه ، اندرى كلو : المرجع السابق ، ص٨٢ .

(١١٩) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

Ismail hami Daui Danismend : op. cit., p. 66 .

(١٢٠) ابن طولون : إعلام الورى ... ، ص٢٤٨ ، محمد كرد على : المصدر السابق نفسه .

(١٢١) عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص ٧٧ ، محمد كرد على : المصدر السابق نفسه .

(١٢٢) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ١٥٦ ، كامل باشا : المصدر السابق ، ص١٦٣

(١٢٣) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣٦٨ Antony Bridge : op. cit., p. 40.

(١٢٤) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

، ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣٨٢ ، محمد كرد على : المصدر السابق نفسه .

، أحمد رشيد : المصدر السابق ، ص٢٣٨ Antony Bridge : Ibid, p. 41.

(١٢٥) أحمد تشلبى القرمانى : تاريخ سلاطين آل عثمان ، تحقيق بسام عبد الوهاب الحابى ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار البصائر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص٤٠ .

، حاز الله بن فهد المكى : المصدر السابق ، ص ٦٥ ، إسماعيل سرهنك : المصدر السابق .

، محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٩٩، بسام العسيلى : المرجع السابق ، ص١٢٢.

(١٢٦) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٣٧٧

، أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، ص١١ .

(١٢٧) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص١٥٦ ، أحمد رشيد : المصدر السابق ، ص٢٣٤ .

، ابن طولون : إعلام الورى ، ص ٢٥٠ . Antony Bridge : op. cit., p. 41 .

، اندرى كلو : سليمان القانونى ... ، ص٧٢ .

(١٢٨) ابن طولون : المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .. Antony Bridge : Ibid

(١٢٩) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص١٥٧ .

(١٣٠) أحمد فؤاد متولى : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(١٣١) وثيقة رقم (١٠٧٣٤) محفوظة فى أرشيف طوبقبو سراى بإسطنبول .

(١٣٢) ابن إياس : المصدر السابق ، ص١٧٧ ، ابن طولون : المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

، ابن زنبل : المصدر السابق نفسه ، أحمد عزت بعد الكريم : المرجع السابق نفسه .

(١٣٣) ابن طولون : المصدر السابق نفسه .

(١٣٤) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٣٧٧ ، ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

Antony Bridge : Ibid.,

(١٣٥) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

(١٣٦) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٣٨٢ ، ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

(١٣٧) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ١٥٨ Antony Bridge : op. cit., p. 41.

(١٣٨) ابن طولون : إعلام الورى ... ، ص٢٥٢ .

(١٣٩) القرماني : المصدر السابق نفسه .

(١٤٠) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

(١٤١) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(١٤٢) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه . Antony Bridge : Ibid.

(١٤٣) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

(١٤٤) محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق ، ورقة ١٥ ، أحمد رشيد : المصدر السابق نفسه .

(١٤٥) شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى : معجم البلدان ، طبع بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ج٤ ، ص٢٩٠ .

(١٤٦) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه ، أحمد رشيد : المصدر السابق نفسه .

(١٤٧) جار الله بن فهد المكى : المصدر السابق ، ورقة ٦٥ ، كامل باشا : المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

(١٤٨) ابن زنبل : المصدر السابق نفسه .

(١٤٩) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٣٨٢ ، اندرى كلو : المرجع السابق ، ص٧٢ .
، محمد كرد على : المصدر السابق ، ص ٢٢٢ .

Lewis, B, Pellat, Ch., and Schacht : op. cit., p. 1042.

(١٥٠) ابن إياس : المصدر السابق نفسه ، ابن طولون : إعلام الورى ... ، ص ٢٥٢ .
، محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق ، ورقة ١٥، جار الله بن فهد المكى : المصدر السابق ، ورقة ٦٥ .

، ابن زنبل : المصدر السابق نفسه ، أحمد رشيد : المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

Lewis, B, Pellat, Ch., and Schacht : op. cit., p. 1042.

(١٥١) كان شابًا شجاعًا اسمه (على بالى) رباه الغزالى منذ صغره ، وهو ليس جركسيًا ، فلما رآه الغزالى شجاعًا قربه منه حتى جعله حامل لوائه وكان يقول : " إن عليًا هذا عندى أعز من ولدى " . انظر ابن زنبل : المصدر السابق ، ص٦٠ .

(١٥٢) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص١٦٠ - ١٦١ .

(١٥٣) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ١٦١ ، نيقولاى ايفانوف : المرجع السابق ، ص ٧٨.

(١٥٤) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(١٥٥) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص١٦٢ . Antony Bridge : op. cit. p. 41 .

(١٥٦) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(١٥٧) تاريخ الدولة العلية ، ص ١٩٩ ، رافقه : نيقولاى ايفانوف : المرجع السابق نفسه .

Ismail Hami Daui Danismend : op. cit., p. 66 - 67 .

(١٥٨) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٣٨٢ ، اندرى كلو : المرجع السابق نفسه .

(١٥٩) ابن إياس : المصدر السابق نفسه ، ابن طولون : إعلام الورى ... ، ص٢٥٢

، محمد بن أبى السرور البكرى : المصدر السابق ، ورقة ١٥ ، جار الله بن فهد المكى : المصدر السابق ، الورقة ٦٥ ، إبراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٨٥

(160) Antony Bridge : op. cit. p. 41.

(161) Ismail Hami Daui Danismend : op. cit., p. 67.

(١٦٢) بجوى إبراهيم افندى : أسطنبول ، طبعت عن طريق أوفست عن الطباعة القديمة ، الناشر : مكتبة اندرون ، ص٦٧ .

، رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٦٢٢ ورقة ٥٧ ، القرمانى : المصدر السابق ، ص ٤٠ .

، محمود شاكر : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(١٦٣) خطط الشام ، ج٢ ، ص ٢٢٣ .

Ismail Hami Daui Danismend : op. cit., p. 67.

Philip K. Hitti : Syria, A Sort History , London , Macmillan, Co. Ltd. 1959, p. 215.

(١٦٤) ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ١٦٤ ، القرمانى : المصدر السابق ، ص ٤١ .

، إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج١ ، ص ٥٣٣ .

، أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، ص ١٢٨ .

، اندرى كلو : المرجع السابق نفسه .

(١٦٥) عبد الجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك ... ، ص ٨٠ .

، محمد كرد على : المرجع السابق نفسه .

(١٦٦) نيقولاى ايفانوف : المرجع السابق ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(١٦٧) اندرى كلو : المرجع السابق نفسه .

(١٦٨) محمد حرب : المرجع السابق ،ص ١٤٦ .

(١٦٩) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣٨٢ .

(١٧٠) محمد حرب : المرجع السابق ، ص ٤٧ .